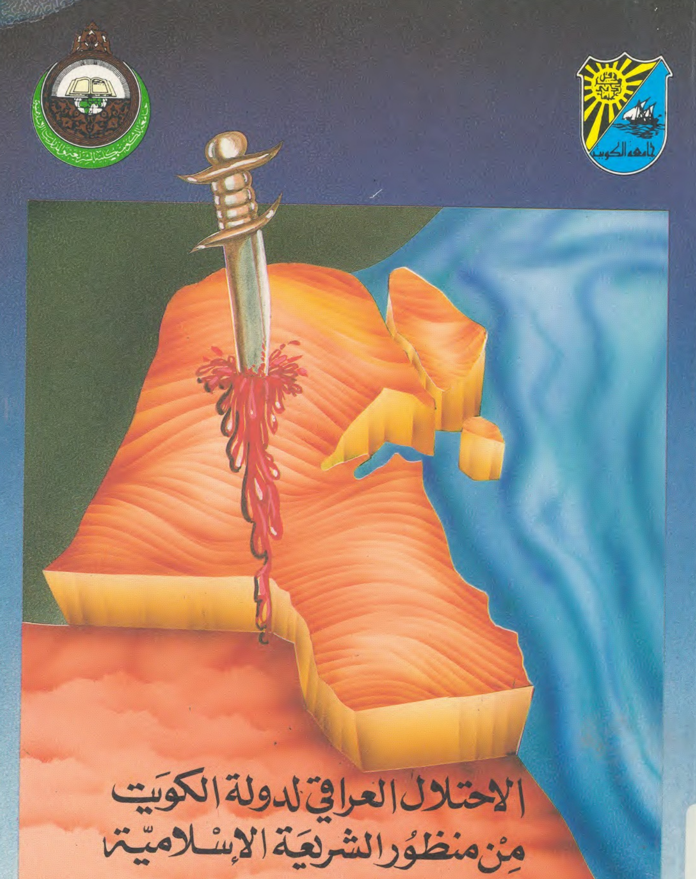

جامعة الكويت
الاحتلال العراقي لدولة الكويت
مِنْ منظُور الشريعَة الإسْلاميّة

الاحتلال العراقي لدولة الكويت
مِنْ منظور الشريعة الإسلاميّة

﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

سورة الشورى ـ ٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم الحادي عشر من محرم الحرام ١٤١١هـ الثاني من أغسطس ١٩٩٠م كان يوم النكبة، نكبة الكويت بطاغية العراق، المتمرد على الدين والخلق والجوار والإنسانية. نكبة لم يخص شرها البلدين، بل عم العالم العربي والإسلامي، والأيتام والأرامل فيهما، وقطع حبالا متينة موصولة، وأوهن أخرى، وحال دون وصل الجديد منها، وفرق القلوب فاختلفت بعد تآلف وتقارب، وقست وتحجرت بعد خفض جناح، ولين جانب، وفرقت الكلمة التي كادت أن تجتمع على طريق سواء، فعادت قذفاً وشتماً وسوء مقال، وفرقت الشعوب بإعلام مغرض هنا وهناك، فشمتت بنا الحساد والأعداء وتنفسوا الصعداء فرحا وطرباً..

وهكذا حكم التسلط، حكم الفرد، حكم الهوى الجامح، وترك سبيل الهدى، حيث يفقد الإنسان رقابة الله تعالى فيتسلط عليه الشيطان ويزين له كل سوء، ولن يشق عليه التبرير والتأويل، فيصبح سفك الدم المعصوم، وهتك العرض المصون، والسحل، والسمل، والتشويه، ومصادرة المال، والعقل، والكلمة والدين، والكرامة، واجبا وطنيا، وسبيلا للتنمية، وتحقيق وحدة الأمة، وبناء العراق العظيم.

إنها نكبة بَعُدَ عهد الأمة بمثلها، بل لا يكاد يوجد لها نظير في تاريخنا الإسلامي المديد.

وإنما النكبات فتن، والفتن دروس وعظات وعبر، والعقلاء من اتعظوا، فغيروا سوأهم وباطلهم، ومعاداتهم ومحادتهم لله تعالى ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، إلى خير وعدل، بتحكيم شريعة الله، وتحقيق رضاه، والغافلون هم الظالمون لأنفسهم وأمتهم، وواقعهم ومجتمعهم، والناس أجمعين.

ومن باب استثمار الحدث واستنباط المواعظ والآثار وتوضيح السبيل. قامت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بواجبها في عقد ندوة موسعة، لتجلية ما حدث من بلاء، ووضعه في ميزان الشرع العادل، وتحليله، ودراسته دراسة علمية هادئة، من خلال نصوص الشرع وتاريخ الأمة، لتحديد مكامن الخلل ومصادره، ووضع سبل العلاج النظرية والعملية، لعل الأمة تأخذ بها وبأحسنها.

وهذه خلاصات لمواضيعها نضعها بين يدي القاريء، وقد شملت الجوانب: الفقهية، والدعوية، والاعلامية، والمستقبلية. نضعها جميعا بين يدي القاريء المنصف أياً كان موقعه، ليعلم على وجه اليقين، ما حدث، ولماذا حدث، ومن يتحمل مسئوليته، وكيف يكون العلاج واقعا ومستقبلاً، كل ذلك في إطار علمي فقهي موثق بالنصوص. غرضنا منه تقديم النصح للمتعظين الراشدين.

والله نسأل ان يأخذ بأيدينا شعوباً وحكومات إلى سبيل الرشاد..

د. عجيل جاسم النشمي
عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

التكييف الشرعي للاحتلال العراقي لدولة الكويت

د. عجيل جاسم النشمي

صبيحة يوم الخميس ١١ من محرم الحرام ١٤١١هـ الثاني من أغسطس ١٩٩٠م، كان يوم الغدر والخيانة حين أخترقت القوات العراقية حدود دولة الكويت الجارة المسلمة، التي طالما امتدت يدها بالعون لهذا المعتدي، أمتدت له بالخير والبذل والعطاء، وتحملت الكثير من المواقف الخطيرة والحاسمة في سبيل الجوار والإسلام والعروبة والتاريخ، فكان نصيبها ومكافأتها زحف الجيش العراقي ودخوله البلاد، وقيامه بممارسات جمعت بين النذالة والغدر، والوحشية والحقد، وتخلت عن كل المعاني الإسلامية والإنسانية، فقتلوا الكثير من النساء والرجال والأطفال. هتكوا الأعراض، أعراض المسلمات الحرائر العفيفات، سلبوا الأموال، نشروا الرعب في كل بيت، ولم تسلم من همجيتهم حتى المستشفيات التي جردوها من أجهزتها، وطردوا من فيها، فمات من مات منهم، حتى الأطفال الرضع أخذوا محاضنهم، وتركوهم يموتون، حتى مساجد الله لم تسلم من تدنيسها وسلبها، والتضييق على روادها، لقد أتوا من الأفعال مالا يخطر على بال، مما لم نقرأ مثله في كتاب ولاسطره تاريخ.

وأمام هذه الممارسات خرج من أهالي الكويت من خرج معذورا، لينجوا بنفسه، ويطلب الأمان لأسرته، وبقي من بقي مختارا مأجوراً، يواجه أناساً ليسوا بشراً، وإنما أشباه البشر، لهم أعين لايبصرون بها إلا الشر والدم، ولهم آذان لايسمعون بها نداء الرحمة والإسلام، وإنما يستلذون سماع أنات الجرحى وآلام المنكوبين، ولهم قلوب لكنها كالحجر الأصم،

لايعرف الإيمان إليها سبيلاً، قد ملأها الحقد والظلم، حتى غدت مسودة لامكان فيها لخير.

وهكذا كان لابد من صراع الحق والباطل، صراع الحق الذي لايملك إلا الدعاء ومعية الله، ولاحول ولاقوة له إلا بالله. وبين الظالم القوي المدجج بالسلاح الفتاك، وكما هي سنة الله تبارك وتعالى كانت النتيجة انتصار الحق على الباطل، وأخذ الباطل وأعوانه، وحل به من العقاب مالم يحسب له حسابا، وكانت عقوبة الله سريعة وعظيمة وشديدة.

ويتساءل كثير من المسلمين عن هذه الجريمة، ماحكم الشرع فيها، هل هي حرب بين فئة مسلمة وأخرى كافرة؟ هل هي حرب فئتين مسلمتين؟ وما حكم من أمر وخطط لهذه الحرب؟ وما حكم النظام الذي ينتهج هذا النهج؟ ما هو فكره؟ وماهو معتقده؟ ثم هذا الجيش الذي يضم القائد والجندي؟ ماهو نصيبه في هذه المسؤولية؟

هذه وغيرها أسئلة تثور في ذهن المسلم خاصة، ويريد معرفة حكم الشرع، وهذه الخلاصة من هذا البحث تعرض لهذه المسائل، مع توثيقها بما يسندها من الناحية الشرعية، حتى يمكن ابتناء الحكم الشرعي تبعاً لأسس بناء واستنباط الأحكام الشرعية لوقائع الأحوال.

ممارسات النظام العراقي

إن معرفة الحكم الشرعي تبنى على طبيعة الأعمال التي قام بها النظام العراقي أثناء الإحتلال، فهو يمثل التطبيق والواقع العملي الذي يتكامل مع الجانب النظري والفكري والوثائقي للنظام، ومجموع الأمرين هو موضوع الحكم الشرعي الذي نريد إضفاء الحكم الشرعي بسببه وعلى ضوئه.

لقد كثرت الوثائق والمصادر كلية وعالمية حول أسلوب وطبيعة الممارسات التي قام بها النظام العراقي ممثلا بالقيادة والجنود.

ولعل أوثق مصدر هو مذكرة الأمين العام للأمم المتحدة خافيير بيريز دي كوير المحالة إلى أعضاء الجمعية العامة في التقرير الأولي لحالة حقوق الإنسان في الكويت في ظل الاحتلال العراقي، والذي أعده المقرر الخاص للجنة حقوق الإنسان الزكاليين، وفقا لقرار اللجنة ٦٧/٩٩١ المؤرخ في ٦ آذار مارس ٢/١٩٩١.

وسنكتفي بوصف مختصر لما تضمنه التقرير، دون ذكر التفصيلات في هذا الشأن.

فقد تكلم التقرير عن عدة قضايا أهمها:

أولا: الاحتجاز والاعتقال:

وقد قام النظام باحتجاز آلالاف من المدنيين من الكويتيين ومن غيرهم من العرب والأجانب، احتجازاً تعسفياً لامبرر له، وقد وضع كثير منهم دروعاً بشرية في مواقع استراتيجية. وقد أدان التقرير هذه الانتهاكات والممارسات التي تتنافى مع ماورد في المادة ٩ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والمادة ٩ من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية.

ثانيا: التعذيب والمعاملة القاسية واللاإنسانية:

وأثبت التقرير وجود ممارسات وحشية من تعذيب العسكريين والمدنيين، وقد وثق ذلك بشهادات من وقع عليهم التعذيب.

وقد استخدم في التعذيب أنماطاً عديدة منها: قضبان الحديد، والهراوات، والسياط، وأعقاب البنادق، والفلقة، والصدمات الكهربائية، والحرق بالسجائر، وأحيانا باستخدام التيار الكهربائي ذي الفولط العالي، والمياه المغلية، ونزع الأظافر، والتعذيب الجنسي.

وقد أدان التقرير هذه الممارسات التي تنافي المادة الخامسة والسابعة من الإعلان الدولي لحقوق الإنسان.

ثالثا: الإعدام التعسفي:

وقد أثبت التقرير معلومات عن حالات الإعدام لأشخاص أخذوا كأسرى حرب، وأعدموا رميا بالرصاص، وتمت بعض الإعدامات خاصة لأفراد المقاومة الكويتية، أمام بيوتهم وعلى مرأى من أهلهم، وقد صاحب القتل كثير من التشويه للجثث.

رابعا: الجناية على الأطفال والنساء:

وقد أورد التقرير المعاناة التي وقعت للأطفال والنساء من جراء الاعتقالات والممارسات التعسفية اليومية. وقد قبض على عدد كبير من النساء والأطفال، ونقلوا إلى معتقلات العراق، وقد أصيب الأطفال والنساء بحالات نفسية جراء ذلك.

وهذا كما يذكر التقرير مناف لموجب المادة ٣٣ من اتفاقية جنيف الرابعة.

خامسا: الإغتصاب:

ذكر التقرير أن عدداً كبيراً من النساء تعرضن للاغتصاب على أيدي

الجنود والضباط العراقيين، ووقع أكثر ذلك في الأسبوعين الأولين في المستشفيات، كما تم ذلك أثناء مداهمات التفتيش التي استمرت طوال أشهر الاحتلال.

وقد بين التقرير أن هذه الأعمال اللإنسانية تعتبر انتهاكاً صارخاً للمادة السابعة والعشرين من اتفاقية جنيف لحماية النساء والأطفال ضد أي إعتداء على شرفهن.

سادسا: تدمير الهياكل الأساسية والممتلكات ونهبها:

ويتعرض التقرير أخيراً، لأعمال النهب والسلب المنظم لمؤسسات الدولة ومصانعها وممتلكاتها، وممتلكات الأفراد أيضاً. وقد تم ذلك بناء على قرارات أصدرتها القيادة العراقية، كما قامت القوات العراقية بتدمير منظم ومتعمد لكثير من المنشآت الصناعية، وأبار النفط عند انسحابها. مما سبب كارثة بيئية وخسارة مادية ضخمة، وذكر التقرير أن هذا كله مناف لموجب المادة الثالثة والثلاثين من اتفاقية جنيف الرابعة وغيرها.

المبحث الأول

التكييف الشرعي للنظام العراقي

ينتهج النظام وهو «حزب البعث العربي الاشتراكي» منهج العالمانية، حيث بنيت وحددت ذلك مناهج ووثائق الحزب، وهي منهجية تعتبر الإسلام خصماً وعدواً للنظام البعثي، لكنها تأخذ طريق التخفي في حربه، دون علانية، ودون مواجهة صريحة، وهي في الواقع ونفس الأمر، حرب وعداوة لا يترك الحزب فرصة إلا فعل ما يمكن فعله في سبيل إعاقة وهدم التوجه الإسلامي.

جاء في التوصية الرابعة من مقررات المؤتمر الشعبي الرابع للحزب في معرض تحديد موقف الحزب من الصحوة الإسلامية التالي:

يوصي المؤتمر القيادة القومية بالتركيز على النشاط الثقافي والعمل على علمانية الحزب، وبخاصة من الأخطار التي تشوه بها الطائفية العمل السياسي. وجاء فيه أيضا تحديد النظرة للإسلام الإسلام من حيث هو دين مساو لغيره من الأديان» ويحدد المؤتمر أيضا موقف الحزب من الصحوة الإسلامية «يعتبر المؤتمر القومي الرابع المرحلة الدينية إحدى المخاطر الأساسية التي تهدد الانطلاقة التقدمية في المرحلة القادمة».

ومن خلال هذه النصوص التي ذكرناها مجرد أمثلة فحسب، يمكن أن ندرك بوضوح طبيعة هذا الحزب وفلسفته، فهو حزب علماني أو عالماني لاديني - بل يعتبر الدين عدواً وخصماً، ولاريب أن هذه النصوص في

الموازين والضوابط الشرعية تعتبر كفراً صراحاً. لايجوز لفرد فضلاً عن الجماعة والدولة أن تتخذه منهجاً، بل ولا مجرد فكر، فكيف بنظام دولة لها مسؤولياتها القانونية والدولية.

الوصف الشرعي لرئيس النظام:

إن الحكم الشرعي لمسؤول النظام، وأعلى رجل فيه، يمكن أن يؤخذ من الوصف أو الحكم الشرعي للنظام ذاته، ومع ذلك فيمكن الاستدلال على فكر ومعتقد صدام حسين من أقواله ذاتها.

يقول مبينا عقيدته: «عقيدتنا ليست حصيلة كل ما يحمله الماضي والدين، وإنما هي نظرة شمولية متطورة للحياة، وحل شمولي لاختناقاتها وعقدها، لدفعها إلى الأمام عن طريق التطور الثوري، «ويقول»: «عندما نتحدث عن الدين والتراث، يجب أن نفهم أن فلسفتنا ليست التراث ولا الدين، إن فلسفتنا ماتعبر عنه منطلقاتنا الفكرية وسياساتنا المتصلة بها»[1]، ويقول: «شرطنا الأساسي فيمن يمارسون طقوسهم الدينية أن يبتعدوا في ممارساتهم تلك عن التناقض والتصادم مع سياستنا في تغيير وبناء المجتمع، وفق اختيارات حزب البعث العربي الاشتراكي»[2].

وهذا غيض من فيض من مؤتمرات صدام حسين شابه فيه استاذه والأب الروحي للحزب، ميشيل عفلق حين قال: «إن الدين له مجال آخر، ليس هو الرابطة للأمة، بل هو يفرق القوم الواحد».

فهذه النصوص تكشف عن حكمه ووصفه الشرعي خاصة إذا انضم إليها سجل حافل مشرف لامثاله من الممارسات الدموية التي تواترت عنه، ينقلها القريب والبعيد، وتشهد بها السجلات والوثائق، وهذا كله كفيل بوصفه بالكفر، لما في أقواله من ردة صريحة، واستهزاء صريح بالدين الإسلامي

(١-٢) نظرة الدين والتراث، صدام حسين ٣٠٣.

وتعاليمه، وإصرار على استبدال نظام الحزب البعثي الكافر بالدين الإسلامي، وقد أجمع الفقهاء على أن الاستهزاء أو الاستخفاف من المسلم بدين الإسلام أو بالله، أو برسوله، أو بأحد من رسله، أو بكتابة، أو بحكم من أحكامه، بالقول أو الفعل، أو الاعتقاد، يعتبر ردة وكفرا، سواء أكان القائل جادا أو هازلا، وأبلغ في الكفر.

من الاستهزاء رد أحكام الإسلام، يقول الله تبارك وتعالى: «ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم» وبقوله تعالى: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة، وأعد لهم عذاباً مهيناً[٢].

وقال ابن عابدين: «ومن أتى بفعل صريح أو استهزاء، فقد كفر «وقال» من هزل بلفظ كفر ارتد، وإن لم يعتقد للاستخفاف فهو ككفر العناد».

وحكم صدام وأمثاله حكم المرتد، وقد أتفق الفقهاء على أن المرتد يقتل، لقوله صلى الله عليه وسلم «من بدل دينه فاقتلوه» والردة هي «أفحش أنواع الكبائر بعد الشرك بالله تعالى، أو هي منه، يليها القتل ظلماً، ثم الزنا، ثم القذف، ثم السرقة» وقد جمع صدام هذه الموبقات كلها أوجلها.

الوصف الشرعي للجيش العراقي:

ان الحكم الشرعي إنما يقع على الأعيان من الناس، فلا يصح وصف الجيش قيادة وجنوداً بوصف واحدا، فيقال: إنهم يرتدون كفاراً حتى يثبت لكل منهم مايقتضي شمول هذا الوصف له، وعليه فأقصي أحوالهم كحكم عام هو القول: بوجود شبهة ردة أو كفر، وهذا بحد ذاته ليس ردة ولا كفرا، حتى يدخل الفرد يقيننا في حيزهما ـ والعياذ بالله.

(١) سورة التوبة آية ٦٥

(٢) سورة الأحزاب آية ٧٥.

وعلى هذا فالوصف الشرعي للجيش وقيادته وجنوده، ومسانديه، يحتاج إلى مقدمات يستوفي فيها الوصف العام، ثم يأتي الوصف الخاص لبعض الأفراد، مع الأخذ بالاعتبار عنصر الرضى أو الإكراه، وحكم الردء.

إن الوصف الشرعي للجيش العراقي لايخرج عن أوصاف ثلاثة: إما أنه جيش من الحربيين، أو البغاة، أو المحاربين.

أما أنهم حربيون فهذا غير وارد، باعتبار أن الحربيين هم غير مسلمين في الأصل، وهؤلاء مسلمون من حيث الأصل والجملة، وعليه فنعرض لوصف الحراية والبغي.

أولا ـ الحرابة:

ونقدم أهم أحكام الحرابة حتى ينكشف وصفها، ويمكن النظر في انطباقها أو عدم انطباقها على الجيش العراقي كوصف عام.

الحرابة: هي البروز لأخذ مال، أو لقتل، أو لارعاب، على سبيل المجاهرة مكابرة، اعتماداً على القوة، مع البعد عن الغوث.[١]

وجاء في المدونة: من كابر رجلاً على ماله بسلاح أو غيره في زقاق أو دخل على حريمه في المصر، حكم عليه بحكم الحرابة. وعليه فإن الحرابة لاتقتصر على قطع الطريق، وإنما تشمل أيضا ممارسة البطش والتنكيل وإرعاب الناس في المدن بدخول البيوت، وإخافة المارة بالقوة.

والحرابة من الكبائر، وقد غلظ الإسلام في عقوبتها، فقال عز من قائل: **«انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوه من الأرض»**.[٢]

---

(١) الموسوعة الفقهية ١٥٣ وزارة الأوقاف بدولة الكويت.

(٢) سورة المائدة آية ٣٣.

والمحاربون هم من المسلمين المقرين بأحكام الإسلام، وليسوا كفاراً أصليين، ولم يشترط الفقهاء في المحاربين أن يحملوا السلاح، بل يكفي أن تكون عندهم قهر وغلبة ورهبة.

وقد اختلف الفقهاء في عقوبة المحاربين إذا ألقى القبض عليهم، هل توقع عليهم العقوبات المذكورة في الآية الكريمة كلها أو بعضها، وهل هي على الترتيب أو التمييز.

فذهب الشافعية والحنابلة والصاحبان من الحنفية: إلى أن آية «أو» في الآية على ترتيب الأحكام، وتوزيعها على ما يليق بها في الجنايات: فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب. ومن اقتصر على أخذ المال، قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى، ومن أخاف الطريق، ولم يقتل ولم يأخذ ما لا نفي من الأرض، ويمكن حمل النفي على السجن.

وذهب بعض السلف إلى أن الآية تدل على التخيير بين الجزاءات الأربعة، فإذا خرجوا لقطع الطريق وقدر عليهم الإمام، خير بين أن يطبق أي حكم من الأحكام الأربعة، تبعا لما يراه من تحقق المصلحة العامة.[1]

ولاتسقط عقوبة الحرابة إلا بالتوبة قبل القدرة والتغلب عليهم وذلك لقوله تعالى: «**إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم**»[2] والذي يسقط بعد التوبة هو حقوق الله تبارك وتعالى، أما حقوق الآدميين فإنها لاتسقط بالتوبة، فإذا أخذوا مالا، أو قتلوا أحدا، فانهم يغرمون المال، ويقتص ممن قتل مالم يعف أصحاب الدم.

---

(١) وفي المسألة تفصيل يرجع اليه في البحث الموسع المنشور في مجلة المحاماة الكويتية.

(٢) سورة المائدة آية ٣٤.

ثانيا ـ البغي:

البغي لغة: هو الظلم والاعتداء والسعي في الأرض بالفساد. والبغاة في اصطلاح الفقهاء: هم المسلمون الخارجون على الإمام، ولهم شوكة وتأويل فاسد.

والبغاة لايقاتلهم الإمام مباشرة، وإنما يتبع كل وسائل الإصلاح لعودتهم إلى طاعته، فإن كان خروجهم بسبب ظلم منه فينبغي أن يزيله إن صح ما ادعوه، وإن كانت عندهم شبهة فيزيلها بالحوار والجدال معهم، ويستعين في ذلك بأهل الرأي والعلم والمشورة، وذلك كله واجب الإمام، لقوله تعالى: «**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**»[1] فيقدم الصلح فإن انسد بابه فله بعد ذلك قتالهم، لايقصد قتلهم، وإنما بقصد دفع شرهم وخروجهم.

وقد اختلف الفقهاء في بدئهم بالقتال من قبل الامام، أو عدم بدئهم حتى يبادروا هم أولا.

ويمكن القول ترجيحا بين القولين: أن لايبدؤهم الأمام، بالقتال إلا اذا خاف كيدهم وشرهم فهم حينئذ كالصائل، يجب قتالهم دفعا لشرهم، لاسيما إذا علم تجمعهم، وقوة شوكتهم، وعزمهم على مهاجمة المسلمين، فيبادرهم حقنا للدماء ما أمكن ذلك.

وقد فرق الفقهاء بين قتال الكفار وقتال البغاة بأحد عشر فرقا: أن يقصد بالقتال ردعهم لا قتلهم، وأن يكف عن مدبرهم، ولايجهز على جريحهم، ولاتقتل أسراهم، ولاتغنم أموالهم، ولاتسبي ذراريهم، ولايستعان عليهم بمشرك، ولايوادعهم على مال، ولاتنصب عليهم المجانيق، ولاتحرق مساكنهم، ولايقطع شجرهم[2] ولايجوز أن يستعان عليهم بالكفار،

---

(١) سورة الحجرات آية ٩

(٢) انظر الموسوعة الفقهية ٨/١٤٠.

لأن القصد من قتالهم كف شرهم وردهم عن غيهم وباطلهم، ولو أستعين بالكفار فانهم يقاتلونهم بقصد قتلهم. ويعامل قتلاهم، بمثل مايعامل به قتلى المسلمين، فيغسلون ويكفنون، ويصلي عليهم، لأنهم مسلمون موحدون.

ومن هذا العرض لمعنى المحاربين والبغاة، يظهر بجلاء وتمام وضوح مطابقة وصف المحاربين للجيش العراقي، وهذا هو الحكم العام. فهم في الأصل والجملة مسلمون دخلوا أرضا ليست لهم، بل هي لشعب مسلم، يستظل بحكومة مستقلة، لها سلطتها القانونية على أرضها، وادعو ادعاءات لاترقى إلى تأويل مستساغ، بل بنيت دعاواهم على خلاف الاتفاقيات المعترف بها بين الدولتين، وعلى خلاف الوقائع والتاريخ الطويل. وقد استباحوا منذ بدء دخولهم الدماء والأموال والأعراض، وتحقق يقينا من قيادتهم بأوامرها المسجلة بالوثائق الصادرة عنهم، الأمر بهذه الاستباحة، ثم تثبت ممارسة الجنود وتنفيذهم هذه الأوامر، برضى أو بإكراه، ولايعذرون بالإكراه، لأن الدماء والأعراض لاتستباح بالإكراه، فلا يعتبر الإكراه عذرا، وعليه فالكل يتحمل إثم ما اقترفت يداه، سوء أكان استجابة لأوامر قيادته، أم مبادرة من ذاته نفسه، واقتراف يده، وهنا ينتقل الحكم من العموم إلى الخصوص مع اشتراك الجميع في الإثم، وهو إثم قطع الطريق وإثم المحاربين، إلا أن أحكامهم تختلف تبعا لفعلهم، فمن قتل يستحق القتل، ومن قتل وأخذ المال، قتل وصلب، ومن أخذ المال قطعت يده ورجله اليسرى، ومن لم يفعل شيئا من ذلك، ووقع أسيراً في صف أهل الحق، فحكمه الحبس، وهذه الأحكام كلها على رأي جمهور الفقهاء، وعلى رأي المالكية فيعتبر الكل من المحاربين، والحاكم مخير فيهم تبعا للمصلحة، وإن لم يتم منهم قتل، ولو لم يأخذوا مالا.[1].

فحكم الجيش العراقي قيادة وجنودا من حيث الجملة قوله تبارك

---

(١) وعند مالك وأبي حنيفة في هذا تفصيل.

وتعالى: «انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الأخرة عذاب عظيم، الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فأعلموا أن الله غفور رحيم»[1].

(١) سورة المائدة الآية ٣٣، ٣٤.

حكم الاستعانة بالكفار في القتال

أ. د. محمد فوزي فيض الله

«بسم الله الرحمن الرحيم»

(١) ليس القتال في ذاته ـ بما فيه من سفك الدماء، وإتلاف الأموال والمنشآت، وإفناءِ القوى، ـ غرضاً حميداً، ولا مطمعاً بعيداً، يستهدفه الإسلام، وهو دين السلام؛ بل هو ضرورة تفرضها الظروف الخاصة، والأحداث الفاصلة، وطبيعة الأشرار، الذين يقيمون الحواجز أمام المد الإسلامي، ليصدوا عن سبيل الله.

ولهذا نَهى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث الصحيح المتفق عليه، عن تشهي القتال، وإيقاد نار الحرب، بقوله: «لا تتمنوا لقاء العدو، فتضربوا رقابهم، ويضربوا رقابكم، واسألوا الله العافية؛ فإذا لقيتموهم فاصبروا؛ واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف».

فإذا فرض القتال، وجب التهيؤ الروحي له: بإخلاص النية في الجهاد في سبيل الله، ليكون الدين كله لله؛ وإعدادُ القوة البشرية والمالية والمادية؛ كما قال تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾.(الأنفال: ٦٠).

وإعداد القوة الجهادية، قد يكون ذاتياً، بإعداد الفتيان، والتربية الجهادية المبكرة، وصنع الأسلحة، ومزج التدريبات العسكرية، ببرامج التعليم والتربية.

وقد يكون بمداولة الرأي والمشورة؛ وقد يكون بالأسباب المادية، كالسلاح، والكراع، وغطاء الجو، وأساطيل البحر.

وقد يكون بالقول والبيان، وقد يقع بالفكر ورسم الخطط، وتصنيع المواد والتِّقان.

وكل ذلك من مشمولات قوله تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ .(العنكبوت: ٦٩).

(٢) وقد يقع بالتحالف، وهو: المعاهدة والمعاقدة على التناصر والتساعد والاتفاق ـ كما يقول ابن الأثير ـ وهو في كثير من صوره تضامن معنوي.

وكان في الجاهلية أحلاف، بين الأفراد وبين القبائل، كحلف المطيِّبين من قريش: (بني عبد مناف، وأسد، وزهرة، وتميم).

وشهدهُ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال: «شهدت حلف المطيِّبين، وأنا غلام مع عمومتي، فما أُحب لي به حمْرَ النَّعَم، وأَني أنكثه».

وحلفُ الفضول، شهده النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل البعثة، وسنه عشرون عاماً؛ وتحدث عنه بعد ذلك، وقال: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان، حلفاً، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت».

وكان التحالف فيه على أن تُرد الفضول على أهلها، وأن لا يَعزَّ ظالم مظلومًا، [وأن يكونوا مع المظلوم حتى ترد عليه مظلمته].

وكان هذا الحلف بين بني هاشم، وبني المطلب، وبني أسد، وبني زهرة، وبني تيم بن مرة، وبني تيم عبد الله بن جدعان.

وفي الإسلام، آخى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين المهاجرين وبين الأنصار. وفي البخاري من حديث أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ: «حالف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين قريش والأنصار».

فأما حديث مسلم «لا حلف في الإسلام» ـ فالمراد به الحِلف على الأمور التي كانوا يتعاقدون عليها في الجاهلية، ثم حظرها الإسلام. وإنه لابأس ـ كما يقول الحنفية ـ على النصرة والنصيحة والتعاون والرفادة وغيرها.

وهذا خلافاً للكثيرين الذين أخذوا بظاهر هذا الحديث؛ فالمؤمنون إخوة، وأولياء بعض؛ وهم كالبنيان، وتتكافأ دماؤهم.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرحه لصحيح مسلم: «المؤاخاة في الإسلام، والمحالفةُ على طاعة الله، والتناصرُ في الدين، والتعاونُ على البر والتقوى وإقامةِ الحق ـ هذا باق لم ينسخ. وهذا معنى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذه الأحاديث: «وأيما حلف كان في الجاهلية، لم يزده الإسلام إلا شدة».

وأما قوله: «لا حلف في الإسلام» فالمراد به حلف التوارث، والحلف على ما منع الشرع منه».

بل الأحلاف والمعاهدات والمعاقدات، قبل الحروب وبعدها، في الماضي والحاضر، كثيرة معروفة. ومن أقدمها الأحلاف التي كانت بين مصر والشام، والتي تعاقدت على طرد الهكسوس والعمالقة من الأرض المقدسة؛ والتي كانت بينهما بعد ذلك لطرد التتار من بلاد الشام؛ ثم التي كانت بينهما بعد ذلك لطرد الصليبيين من الساحل وفلسطين، على يد صلاح الدين، حاكم الإقليمين.

وحتى الاتفاق الحديث الأخير، الذي قام بين هذين الإقليمين، في الوحدة بين مصر وسورية، ثم انضمت إليهما اليمن ـ على مالَها وما عليها ـ شغلت البال، وأقلقت الفكر الصليبي، وأفزعت إسرائيل، التي ما أقامها الاستعمار إلا للفصل بين هذين الإقليمين، اللذين يمثلان مركز الثقل الإسلاميِّ العربي، وأملَ الإنسانية في الإنقاذ. ولو أن هذه الوحدة قامت على أساس من الدين، لا قومية فيه، لغيرت مجرى الأحداث، وجمَّعت الأقاليم الإسلامية، في وحدة شاملة، كما كانت أيام الخلافة.

إن التحالف والتعاقد، ظاهرة دولية سياسية واجتماعية، في القديم

والحديث؛ الأصل فيها تحقيق مصلحة الدول المتحالفة.

وقد قامت في الغالب كذلك؛ وعلى أسس مصلحية؛ وليس في الإسلام مايمنع من ذلك، لاسيما ما قام منها على الحق ونصرته؛ ويكره ماقام منها على أساس من العنصرية أو القومية أو خصال الجاهلية، لما أنها تفتت المسلمين، وتبعثر الصف المسلم؛ وفي مثلها ورد في الصحيحين وغيرهما: «دعوها فإنها منتنة».

(٣) أما الاستعانة، فلا تخرج في معناها العام، عن طلب العون.

وأهم صوره، الاستعانة بالله، فإنه مطلوب في كل شيء، مادي كقضاء الحاجات والتوسع في الرزق؛ أو معنوي كتفريج الهموم، وإزالة الكوب. قال تعالى: ﴿**إياك نعبد، وإياك نستعين**﴾ .وفي الصحيح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «وإذا استعنت فاستعن بالله».

أما الاستعانة بغير الله، من الناس، فجائزة في الخير بالمسلمين، لقوله تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**» .(المائدة: ٢). وربما وجبت عند الاضطرار، وتعينت طريقا للنجاة؛ كما قال تعالى: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ (البقرة: ١٩٥).

والخير كلمة جامعة، كالبر؛ ومن مشمولاتها: إنشاء المصانع، وإقامة الجامعات والمعاهد، وبناء المساجد، ومد الجسور، وتطوير الصناعات، وأساليبِ التقدم الحضاري العمراني والعسكري. فكل ذلك جائز بين المسلمين، وربما حتمت الظروف وجوبه؛ وعلى التخصيص ما اتصل منها بالجهاد، لنشر الدعوة، وحماية الدعاة، ودارِ الإسلام، وللتعريف بالدين ومآثره.

(٤) أما الاستعانة بغير المسلمين، فيقتضي تحديد المراد بغير المسلمين، أولاً، ليقع القول في حكم الاستعانة بهم في القتال الذي نحن بصدده، سليماً.

فليس المراد بغير المسلمين هنا، عبدةَ الأصنام والوثنيين؛ بل هم: الكفار الواضحُ كفرهم أيضاً، من الحربيين، الذين يقيمون في دار الحرب، وينتمون إليها، وليس بيننا وبينهم عهد ولا ذمة، ويعادوننا معاداة ظاهرة.

ومنهم الذميون المقيمون في ديار الإسلام، ويلتزمون بأحكام الإسلام، فيما يتصل بالأمن والنظام، والمعاملاتِ والعقوبات. وكذلك المستأمنون المقيمون إقامة مؤقتة، في دار الإسلام، بعقد أمان مؤقت.

وهذا هو المعنى العام الذي يندرج فيه كل كافر.

وليس منهم المنافقون، لأنهم مسلمون في الظاهر؛ ولا الفاسقون، لأن فسق المعصية لا يُخرجهم من الإسلام إلى الكفر. وفي الصحيحين «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». ففجوره عليه، وقوته للمسلمين. ومثلهم البغاة، الخارجون على الإمام، فإن هؤلاء المنافقين والبغاة يجوز الاستعانة بهم في الجهاد.

(٥) وتتخذ الاستعانة بغير المسلمين، في غير القتال، صوراً شتى، كلها جائزة ـ في الجملة ـ سواء أكان من أهل الكتاب أم من غيرهم؛ وذلك في غير القُربات، كتعلم الرياضيات، والتِّقانيات، وبناء السدود، وهندسة الأبنية، والفنون الجميلة ـ والخط والشعر المباح، كما جاء في نصوص الفقهاء ـ مما لا يُمنع من مزاولته شرعاً.

فأما في القُربات، كتعليم القرآن، وفيما يُمنع من مزاولته شرعاً، كاتخاذهم في ولاية على المسلمين، أو على أولادهم، فلا تجوز الاستعانة بهم.

وقد تباح الاستعانة بأهل الكتاب دون غيرهم، من المشركين والمجوس ونحِوهم، في بعض الأمور، كالصيد والذبح؛ فلا يتولى الصيد والذبح للمسلمين، إلا أهلُ كتاب.

(٦) أما الاستعانة بغير المسلمين في القتال: فليس المرادُ الاستعانةَ بهم في خصوص المواجهة المسلحة فقط، بل طلب العون في ألوان من الجهاد أيضاً: كالدلالة على الأهداف العسكرية، وتوريد السلاح، والتخذيلِ عن المسلمين، والإرجاف في بيئات الكفار، إلى جانب القتال بالانضمام إلى صفوف المسلمين.

وعلى هذا تتمثل الاستعانة بالكفار الذين ذُكروا أولاً، بمعنى الكفر العام، في نوعين:

أولهما: الاستعانة بسلاحهم، وممتلكاتهم وأموالهم وأنواع عدتهم. وهذا جائز بلا خلاف، بشرط أن لايترتب عليه خضوعُ المسلمين لسلطان أهل الكفر والعناد، أو تركهم لشعائر دينهم، أو فروضِ شريعتهم؛ وأن لا يمس ذلك كرامة المسلمين، ولا يصيبَ عزتهم بذل أو إهانة، ولا يترتبَ عليه موالاة للكافرين، ولا رضيً بالكفر.

واستُدل لذلك، بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ استعار من صفوانَ ابنِ أمية، في غزوة حنين، بعض الأسلحة. لكن ـ كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع ذلك في المركز الأقوى؛ وكان صفوان في وضع المغلوب ـ كما لاحظ ابن القيم في زاد المعاد.

والنوع الآخر: هو الاستعانة بأشخاص الكفار، ليقاتلوا مع المسلمين، أعداءهم من الكافرين؛ فهذا محل خلاف بين الفقهاء:

والأصل الفقهي، أنه لاينبغي للمسلمين، أن يلتمسوا حل مشكلاتهم ونزاعاتهم، عند غيرهم، ولا في غير كتاب الله، وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما ابتُني عليهما. فإن فعلوا ذلك أثموا، وتعرضوا لنقمة الله، وشقاء الدنيا، وعذاب الآخرة.

وفي الاستعانة بالكفار ـ مع ذلك ـ في قتال الكفار، (وفي الجهاد)، هذا التفصيل الفقهي:

١) ـ فالحنفية أجازوه بشرطين:

أوُلهما: عند الحاجة ـ كما نص الحصكفي، والكمالُ من قبله ـ أما بدونها فلا، لأنه لا يؤمن غدره ـ كما يقول ابن عابدين ـ .

والآخر: أن يكون حكم الإسلام هو الظاهر، بأن لا تكون للكفار شوكة؛ فإن كانت لهم شوكة، فلا؛ لأنه لا يؤمَن أن يخرجوا على المسلمين، ويَظهر دينُهم.

قالوا: ولو خرج الكافر من تلقاء نفسه، بدون طلب، فلا بأس من الاستعانة به.

٢) ـ والمالكية لايستجيزون الاستعانة بهم؛ لأن الجهاد لنصرة دين الله، والكافر ليس أهلاً لذلك. واستدلوا بحديث مسلم: «لن أستعين بمشرك».

قالوا: إلا أن يستخدموهم في السفن، ملاحين أو صانعين.

وذهب كثير منهم إلى أنهم لايُمنعون من الخروج إلى القتال من تلقاء أنفسهم ـ كما قال الحنفية ـ فقد سمح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لصفوانَ بالخروج معه إلى حنين، عندما جاء من تلقاء نفسه. وهذا هو المعتمد ـ كما صرح به الدردير ـ. واشترط أن يكون القتال ضد الحربيين، لا البغاة.

٣) ـ والشافعية أجازوه، إذا دعت الحاجة، وأمن المسلمون خيانتهم، وكان للمسلمين قوة وشوكة؛ واشترطوا أن لايستعان بهم في قتال أهل البغي من المسلمين.

٤) ـ وقال الحنبلية: تحرم الاستعانة إلا للضرورة، كأن يكون الكفار أكثر عدداً، أو يخاف منهم؛ وبشرط أن يكون المستعان به، حَسَن الظن بالمسلمين، مأمونا غير خائن. واشترطوا كغيرهم أن لايستعان بهم في قتال أهل البغي.

(٧) ويبدو من هذا العرض، أن الأصل في الاستعانة بالكفار في القتال، هو المنع، وأن الجواز استثناء مشروط.

ومن أدلة المنع:

١ ـ قوله تعالى: ﴿**لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء**﴾ .(المائدة: ٥١).

وقوله سبحانه: ﴿**لاتتخذوا بطانة من دونكم**﴾ .(آل عمران: ١١٨)

٢ ـ وحديث مسلم السابق «لن أستعين بمشرك». وهو يدل على العموم. ورواه ابن سعد في الطبقات، في غزوة أحد، بلفظ: «لانستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك».

٣ ـ وحديث «لا حلف في الإسلام».

٤ ـ وحديث أحمد «لاتستضيئوا بنار المشركين» أي لاتستنصحوهم.

ومن أدلة المجيزين:

١ ـ وثيقة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لليهود في المدينة، وجاء فيها: «وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.. وإنهم يُنفقون مع المؤمنين ماداموا محارَبين».

٢ ـ وإن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعدما عقد الصلح مع أهل مكة، على وضع الحرب عشر سنين، دخلت خزاعة في عهده، وهم مشركون؛ ومع ذلك خَذَّلت خزاعة عن المسلمين، ونشرت مآثر الإسلام.

٣ ـ كما استعان بيهود بني قنيقاع، ورضخ لهم ـ كما قال الزيلعي ـ. وهذا عنده

ناسخ لحديث «لا أستعين بمشرك». أو أن هذا عند عدم الحاجة.

٤ ـ واستعان بدروع صفوان، واستعارها قائلاً: «عارية مؤداة».

٥ ـ كما استُدل بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ استعان بحماية عمه أبي طالب؛ واستعان بالنجاشي، وهو نصراني؛ واستعان بمطعم بن عدي، وتألف قلوب بعض المشركين في بدء الإسلام، لدفع أذاهم، واستمالة قلوبهم، والاستعانة بهم على غيرهم من المشركين ـ كما يقول الجصاص ـ.

٦ ـ كما أن في قتال الكفار بالكفار مكيدةً، بضرب بعضهم ببعض؛ وغيظاً وقهراً لهم، إذ يقاتلهم موافقوهم في الاعتقاد ـ كما يقول السرخسي ـ.

(٨) وقد تعرضت أدلة كلا الطرفين، المانعين والمجيزين، لشيء من النقد والتجريح غير قليل: فأدلة المانعين ليست نصاً في الموضوع؛ وحديث مسلم ثبت خلافه، مع أنه نص... وأدلة المجيزين دخلها الضعف والتأويل والتعليل. ومن مذهب السلف: ردُّ أخبار الآحاد بالعلل ـ كما يقول الجصاص أيضا ـ (الفصول: ١٢١/٣).

(٩) أما الاستعانة بالكفار على المسلمين، فتتمثل في قتال البغاة ـ فيما يُرى ـ، وهم الخارجون على الإمام الحق بغير حق، بل بتأويل، ولهم شوكة؛ ويقابلهم من سواهم من أهل العدل، الثابتون على موالاة الإمام الحاكم.

ومنهم ـ كما يقول ابن عابدين ـ الخوارج، بأنواعهم: الصفرية، والأزارقة، والإباضية. إذ خرجوا على سيدنا علي ـ كرم الله وجهه ـ لما قبل التحكيم، وقالوا له: كيف تُحكِّم وأنت على حق؟ ولا حكم إلا الله. فرأوا أنه على باطل، وأوجبوا قتاله، واستحلوا دماء أهل العدل، وسَبوا نساءهم وذراريّهم، لأنهم كفار في نظرهم، والمعصية تستوجب الكفر عندهم.

وقاتلهم سيدنا علي ـ رضي الله عنه ـ، في معارك كثيرة، اجتهاداً منه؛ واستعان عليهم بأهل العدل من أتباعه، وكلٍّ من قدر على النصرة والقتال. ثم قال في أواخر أيامه ـ كما روى علماء الأثر ـ: «لا تقاتلوا الخوارج من بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأصابه».

ومذهب جمهور الفقهاء، تحريم الاستعانة بالكفار في قتال البغاة؛ لأنهم مسلمون؛ والقصدُ كفهم عن الخروج، لا قتلهم؛ والكفارُ لا يقصدون إلا قتلَهم.

فإن دعت الحاجة إلى الاستعانة بالكفار لقتالهم: فإن كان من الممكن كف الكفار المستعانِ بهم، جاز، وإلا لم يجز.

والحنفية يرون أيضاً أنه لا يحل الاستعانة بأهل الشرك، إذا كان حكم أهل الشرك هو الظاهر. أما إذا كان حكم أهل العدل هو الظاهر، فلا بأس بالاستعانة بالذميين، وصنفٍ من البغاة، ولو لم تكن هناك حاجة؛ لأن أهل العدل يقاتِلون لإعزاز الدين، والاستعانةُ على البغاة بهم، كالاستعانة عليهم بأدوات القتال ـ كما يقول ابن عابدين ـ .

وفيما يتعلق بتضمين البغاة، يرى الحنفية وغيرهم أنه لابد لنفى الضمان عنهم، من اجتماع المنعة والتأويل، ولو انفرد أحدهما ضمنوا.

ويقولون في الخوارج: لا نكفرهم؛ لأن خروجهم عن تأويل الكتاب والسنة. بخلاف من استحل دماء المسلمين، وأموالَهم، ونَحو ذلك مما كان قطعيَّ التحريم، ولم يَبْنِهِ على دليل، كما بناه الخوارج.

(١٠) فأما تصوير هذه المسألة، وهي الاستعانة بالكفار على المسلمين، في غير البغاة، كما في الاستعانة بهم عند الاختلاف بينهم أي بين المسلمين، على مصالح الدنيا، وتقلد المناصب الكبيرة، وابتغاءِ الغلبة، وهم مقيمون على دينهم ـ

فهذا لم يقل به أحد من أهل العلم.

والأصل ـ كما ذكرت ـ أن تُحل مشكلات المسلمين فيما بينهم، بوسائلهم الخاصة، في ضوء تعاليم الدين الحنيف، دون تدخل الأجنبي. وذلك لأن المسلمين أصحاب رسالة، ودعوةٍ وعبادة؛ والكفار طلاب مغنم ودنيا.. فالاستعانة بهم نقض لأساس الدين، وأهداف الجهاد، فأنى يلتقيان؟

وإن انتشار الإسلام، وانتصار المسلمين في فتوحاتهم، لم يكن بكثرة العدد، ولا بغلبة المادة، وإنما كان بقوة العقيدة، وتدفق الإيمان.

ففي خمسة عشر عاماً فقط، سقطت بأيدي الصحابة، أكبر امبراطوريتين في العالم؛ ولهما من القوى المادية، والخبرات العلمية، ماليس للمسلمين..

ودخل طارق بن زياد الأندلس، في رمضانِ سنة ثلاث وتسعين، وجيشه لايزيد على ثلاثين ألفا؛ وجيش العدو يزيد على مائة ألف. لكن المسلمين كانوا متفوقين في العقيدة الراسخة. والإسلام هو القوة الفاعلة الأصيلة، وهي أعلى من كل قوة، وأمضى من كل تجمع.

وأصبحت الأندلس بعد الإسلام، مثالاً للتقدم العلمي والحضاري، ومركزاً للعلم والمعرفة، ونبغ فيها كثير من العلماء: كالقرطبي، وابن عبد البر، وابن الصائغ، وعيسى بن دينار، وابن جُزي.

وما تغيَّرت حال المسلمين إلا بسبب الفرقة، وتنازعهم على المُلك، واستقلال كل ملك من ملوك الطوائف، بجهة أو بلد، واستعانتهم بالكفار على بعضهم، وهم جميعاً مسلمون؛ فذهبت ريحهم، وعصفت المقادير بمُلكم، وسلط عليهم عدوهم الذي استعانوا به، فغدر بهم، وطردهم من ذلك الفردوس المفقود.

(١١) ـ أما الاستعانة بالمسلمين على الكفار، فتتمثل في الجهاد

الإسلامي، وهو ـ عند ابن الكمال ـ: بذل الوسع في القتال في سبيل الله، مباشرة أو معاونة بمال أو رأي أو تكثير سواد، أو غير ذلك.

ويُدعى إلى الإسلام ـ قبل القتال ـ مَن لم تَبلغه الدعوة، أولاً؛ فإن أجابوا كُف عنهم؛ وإن أبوا عَرضت عليهم الجزية؛ فإن أبوا قوتلوا.

وأما من بلغتهم الدعوة، فلا يدعون، وتُلتمس عِزتهم ـ كما يقول ابن جُزي ـ وقال قوم: يجب أن يدعوا مطلقا؛ وقال قوم: يستحب، إلا إذا ترتب على التبليغ ضرر، كاستعدادهم أو تحصنهم، فلا نفعله.

ويستعان في الجهاد بالرجال المسلمين البالغين، القادرين على حمل السلاح والقتال، وبالمراهقين الأقوياء.

ولا يستعان بالمشركين عند المالكية؛ خلافاً للحنفية والشافعية في هذا.

ووجد من المالكية من قال: لايستعان بالمشركين في القتال، في الصف والزحف؛ فأما في الهدم فلا بأس به.

ووجد من قال: يستعين بمن سالمه من الكفار على من حاربه.

ويستعان بالأقرب فالأقرب من المسلمين، في جهاد الكفار، في الأحوال العادية، إلى أن تقع الكفاية.

وهذا قوله تعالى: ﴿**قاتلوا الذين يلونكم من الكفار**﴾ (التوبة:).

ويجب، بل يفرض عيناً، على كل من يلي الكفار من المسلمين، أن ينفروا إليهم، ويساعدوهم، بالسلاح والمال.

فلو لم تقع الكفاية إلا بكل الناس، فُرض عيناً عليهم.

إنما يستعان بالأقرب فالأقرب من المسلمين في جهاد الكفار، مالم يباغت العدو المسلمين؛ فإذا هجم العدو، ودخل بلدة بغتة، فهذه حال النفير العام، وفيها تصير المساعدة بالقتال، فرض عين على جميع المسلمين.

وعلى هذا فكل بلد أو موضع، خيف هجوم العدو منه، فُرض على الإمام، أو على أهل ذلك الموضع حفظه، وإن لم يقدروا فُرض على الأقرب إليهم إعانتهم، إلى حصول الكفاية بمقاومة العدو. (رد المحتار ـ بتصرف ـ: ٢١٩/٣).

(١٢) ـ بقيت مسألة الاستعانة بالمسلمين على مسلمين

فإذا وقع خلاف بين المسلمين، أو وقعت فتنة، أو ثار نزاع، فالإسلام يأمر بالإصلاح بين الأطراف المتنازعة، ولايجيز الاقتتال ابتداء، ولا القتال مع واحدة منهما، إلا إذا بغت على الأخرى.

ومع ذلك فترك القتال ـ كلما أمكن ـ أفضل، وإن كان جائزاً.

ولهذا كان السلف يرون أن ترك سيدنا علي ـ رضي الله عنه ـ للقتال، كان أفضل؛ لأنه لم يحقق بقتاله مصلحة ما؛ وقد تحققت مصلحة بصلح ابنه الحسن؛ وتحققت المعجزة، بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ـ عندما كان يحمل الحسن وهو صغير ـ: «إن ابن هذا سيد؛ ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

ولو كان القتال واجبا، لما جاز للحسن أن يتركه، ويتنازل عن الخلافة لخصمه، سيدنا معاوية ـ رضي الله تعالى عنهما ـ.

والفتن التي تحدث بين المسلمين، يجب الحذر منها، وترك المشاركة فيها، ولا ينبغي القتال فيها. وقد جاء في حديث أحمد وابن ماجه: «إنها ستكون فتنة وفرقة؛ فإذا كان ذلك، فاكسر سيفك، واتخذ سيفاً من خشب».

ومع ذلك فالشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: لا يجوز لأهل العدل أن يستعينوا على أهل البغي بأحد من المشركين، ذمي أو حربي. وفي قول له: لا بأس أن يستعينوا عليهم بأناس من أهل الذمة، وبمستأمنين، وبصنف من الخوارج، مخالفين للذين خرجوا، بشرط أن يكون أهل العدل هم الظاهرين على الذين يستعينون بهم على الخوارج.

ويقول الحنفية: إذا كان أهل الشرك حكمهم هو الظاهر، فلا يحل لأهل العدل أن يستعينوا بهم على البغاة المسلمين.

قال مالك: إذا خرج على الإمام العدل خارج، وجب الدفع عنه، مثل عمر بن عبد العزيز؛ فأما غيره فدعه، ينتقم الله من ظالم بمثله، ثم ينتقم من كليهما.

ويرى ابن تيمية، أن قتال الباغي مشروط بالقدرة والإمكان؛ وإذا لم تتيسر القدرة فبتآلف المال والمسالمة والمعاهدة، كما فعله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير مرة.

ومذهب أهل السنة والجماعة، تركُ الخروج بالقتال، على الملوك والبغاة، والصبرُ على ظلمهم، إلى أن يستريح برٌّ، أو يُستراح من فاجر؛ وذلك لأن المفسدة في الخروج بالقتال، تربو على المصلحة.

(١٣) ـ أما محنة الخليج، فقد خطط لها الكفار؛ وتولى تنفيذها عميل غدار، علماني عفلقي، حاقدٌ على هذا الدين، ولا صلة له بالإسلام، لا من قريب ولا من بعيد؛ نشّأه ورباه شيخه، وولي أمره ونعمته: ميشيل عفلق، على المروق من الدين، والكيد للإسلام والمسلمين.

وما قصد باحتلاله لهذا البلد الآمن المسالم، إلا إطفاء الصحوة الإسلامية، وقطع المدد المادي عن المسلمين في آسيا وإفريقية، وبعثرة قوة

العرب، وإرهاقهم بالديون؛ وذلك لكي تنتعش إسرائيل في غفلة المسلمين، واشتغال العرب، بحرب مصطنعة، لا طعمَ لها ولا هدف، ولا مصلحة لهم فيها.

ولذلك أفتى أهل العلم بوجوب تكتل المسلمين، لصد العدوان الغاشم. واستجاز بعضهم الاستعانة، ولو بقوى الكفار، لرد الاحتلال العلماني الآثم.

واحترز آخرون من النقد اللاذع، الذي وُجِّه إلى القائلين بجواز الاستعانة بالكفار؛ وبدا لهم أن الاستعانة بالكفار مرفوضة في الأصل، لكنها في هذه المحنة المُهلكة، كانت مخرجاً، باختيار أهون الشرين (القاعدة: ٢٨) وإزالة للضرر الأشد بالضرر الأخف؛ وإنه إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً، بارتكاب أخفهما (القاعدة: ٢٧). من مجلة الأحكام العدلية.

(١٤) ـ ويثير كثيرون هذا السؤال، وهو أنه: كيف يستعان بالكفار، على الجيش المحتل، وهو مسلم؟

والواقع أنه ليس كل المستعان بهم كفارا، وليس كل الجيش المحتل مسلماً.

بل الصبغة العامة للجيش المحتل، هي العلمانية والإباحية، وكفى باستحلال المحرمات من الدماء والأعراض والأموال، ردة.

بل رأيناهم تاركين للصلاة، منهمكين بسرقة الأموال والأعيان المالية ـ ومكتبةِ كلية الآداب على سبيل المثال ـ والإمام يخطب للجمعة. وسمعناهم يستهزئون بالمصلين، ويمتهنون المساجد، يدخلونها بأحذيتهم، ويُدخنون فيها السجاير، ويلقون فيها فضلات الطعام.. يقول أحد الجنود لمسلم، وهو ذاهب لصلاة الفجر في العتمة: أين تذهب الآن؟ فيجيبُه المسلم: أذهب لأصليَ لله تعالى! فيقول له: (لسَّه ربك نايم).

وسأل مسلم في البصرة عن المسجد للصلاة، أحد المجنَّدين: أين الجامع يا أخي؟ فقال له: نحن كفار لانصلي.

ولا يكاد يفتر لسانهم عن الشتائم الدينية، وسُبحتهم لعن الرب، وشتم المقدسات.

هذا الجيل الذي نشأه ميشيل عفلق، جيل لا ديني، هدفه سحق الإسلام، وإبادة المسلمين. فاستحق بذلك أن يقلده البابا، وسام الكنيسة، وأن يشكره قائلاً: أنتَ فعلت مالم تفعله الحروب الصليبية!

ولا ريب في ذلك، فهو الذي يقول في أحد كتبه: يجب أن نحارب المسلمين قبل أن نحارب اليهود؛ ويجب أن نستأصل شجرة الإسلام من جذورها؛ وإنها لا تُستأصل إلا بفؤوس من أغصانها (يعني من أبنائها، كهذا الابن البار المحتل لأبر البلاد).

وليس بعد هذا الكلام ـ وهو مطبوع في كتبه المتداولة ـ ماهو أصرح في الكيد للإسلام، وعداء المسلمين. وقد قرأناه له، وما قرأنا بعد ذلك له، ولا سمعنا ماينقضه، لا له، ولأشياعه المؤمنين به، الذين كتبوا على قبره: أنت قائدنا، وأنت الذي علمتنا وهديتنا. وما ثبت لنا أنه رجع عنه، أو كتب رجوعَه ـ إلا ما كان من تلميذه الوفي (اللدود الأول للإسلام)، الذي آمن به وبما جاء به من أفكار، وطبقها كأحسنِ مايكون التطبيق، ونشأ أبناء المسلمين على الكيد للإسلام والكفر به؛ فإنه زعم أنه أسلم قبل موته.

وهذا مرفوض؛ والأصل ـ كما يقول الأصوليون والفقهاء ـ بقاء ما كان حتى يثبت المغير.

يضاف إلى ذلك: أن علماء التوحيد يقولون: إن المسلم إذا اعتقد أن

الحكم بما أنزل الله غيرُ واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به، مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر.

ونص الطحاوي، في عقيدته المنسوبة إليه، ـ وهي من الكتب المعتبرة المشهورة ـ قائلًا: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، مالم يستحله».

فإن يكنِ في الجيش العلماني المحتل، بعض المسلمين، فضرورة القتال لمصلحة حفظ الدين والدار ـ كما رأينا ـ تنفي عصمة دمائهم، بشرط أن لا يُقصدوا بالقتال ـ كما يقول الفقهاء ـ وعامة الأصوليين، يعتبرون الضروريات الخمس، أقوى مراتب المصلحة؛ وإن يكن في اعتبارها والاحتجاج بها بعض الخلاف بينهم.

والغزالي ـ حجة الإسلام، رحمه الله ـ يرى في المستصفى، أنه يجوز أن يؤدي إلى الضروريات اجتهاد مجتهد، وإن لم يشهد لها أصل معيَّن.

ويمثِّل لذلك، بالكفار، إذا تترسوا بجماعة من أسارى المسلمين؛ فلو كففنا عنهم لصدمونا، وغلبوا على دار الإسلام، وقتلوا كافة المسلمين؛ ولو رمينا الترس لقتلنا مسلماً معصوماً، لم يذنب ذنبا، وهذا لاعهد به في الشريعة؛ ولو كففنا لسلطنا الكفار على جميع المسلمين، فيقتلونهم، ثم يقتلون الأسارى أيضاً.

ويقول ابن عابدين: في حال التترس يقصد الرماةُ الكفارَ برميهم؛ وما أُصيب من المسلمين لاضمان فيه، فلا دية فيه ولا كفارة، لأن الفروض لاتُقرن بالغرامات، كما لو مات المحدود بالجلد أو القطع.

وإنما يعتبر الغزالي ـ مع ذلك ـ المصلحة، بشروط ثلاثة، وهي: أن تكون ضرورية، وقطعية، وكلية.

ويعتبر مالك ـ رحمه الله تعالى ـ المصلحة حجة، لأن الله تعالى ـ كما يقول القرافي ـ: إنما بعث الرسل لتحصيل مصالح العباد، عملاً بالاستقراء؛ فمهما

وجدنا مصلحة، غلب على الظن أنها مطلوبة للشرع.

ويرى العدوي أن كثيراً ما يبني مالك مذهبه على المصالح. وقد قال: إنهُ يقتلُ ثلثُ العامة، لإصلاح الثلثين.

قال المازري: وما قاله أبو المعالي، إمام الحرمين، عن مالك، صحيح.

قال العدوي: محله على أن الجميع مفسدون، بارتكاب أمر لايحل، ولايوجب القتل، كالسرقة ونحوِها، من تخريب أماكن الناس، ولا يحصل انزجارهم، لا بحبسهم ولا بضربهم، إلا بقتل ثلثهم؛ هذا محل الجواز.

واستظهر بعض شراح مختصر سيدي خليل، عدم جواز ارتكاب قتل أكثرِ من الثلث، صونا للدماء.

(١٤) ـ وههنا تنبيه وإيقاظ

وهو: أنه لاينبغي أن يُظَن، أنه بطرد المحتل، انتهى الأمر، واستتب الأمن؛ فالداهية العظمى تكمن في احتمال استغلال الصليبيةِ العالمية، هذه الاستعانَة بالدول الحليفة، واتخاذَها جسرًا تزحف منه إلى البلادالعربية، وإلى قلب العالم الإسلامي، والبقاع المقدسة، للتكفير أو التبشير.

ويعتبر (جون بوتين) بتقريره الذي ألقاه في مجلس الكنائس العالمي: «الأزهرَ في مصر، هو العقبة الكؤود في طريق التبشير».

ويقول المنصِّر (روبرت ماكس): «لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين، حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقامَ قداس الأحد في المدينة».

إن المؤامرة خطيرة، وإصرار الصليبية العالمية شرس أسود، والنصارى يخططون ويدبرون في مؤتمراتهم السرية والعلنية، منذ سنين وقرون؛ وفينا لهم

أعوان عملاء، أوفياء مخلصون..

فيا أيها المسلمون دينكم دينكم.

ويأيها العرب اتحدوا، واحذروا!

واذكروا قول الله تعالى: ﴿**وإن هذه أمتكم أمةً واحدة، وأنا ربكم فاتقون**﴾.

غزو الكويت منحة وابتلاء

د. صديق عبد العظيم أبو الحسن

مقدمـــة

كان يوم الخميس الثاني من أغسطس ١٩٩٠ يوما حزينا في الكويت وفي معظم البلدان العربية فجع أهل الكويت وكل المقيمين الشرفاء فيه، ومثار دهشة وعجب جميع المراقبين، إذ أقدمت العراق على عمل بشع لانظير له في تاريخ العلاقات العربية والإسلامية، إذ أعتدت العراق العربي المسلم، على جار وشقيق عربي مسلم، دون أي مبرر مقبول، عاد بالبشرية إلى عصر البربرية البشعة، وأعاد إلى الأذهان ما مر بالبشرية من مظالم التتار، والنازية والشيوعية اللينينية والستالينية.

ولسنا الآن في مجال ذكر الأحداث وصور التدمير والتخريب والسلب والنهب والغصب وما ارتكب من صور الإذلال والإرهاب ولكننا سنقتصر على معرفة الدوافع بمحاولة معرفة الحق منها، وبإعتبار أن ماحدث كان فتنة وابتلاء سنبين مفهوم الإبتلاء في الإسلام، والنتائج ـ أو الدروس المستفادة.

وسنحاول أن نتجنب الانفعال العاطفي الذي تستثيره وسائل الإعلام من الطرفين، ثم نستقرىء القرآن الكريم في بيان معاني الفتنة والإبتلاء والسنة الإلهية في الكون والإنسان، وحديث القرآن عن صور ومجالات الإبتلاء، ثم نقف وقفة تأمل نستخلص الدروس والعبر، والله ولي التوفيق.

د. صديق عبد العظيم أبو الحسن

أسباب ومبررات احتلال العراق للكويت

الأحداث التي مرت بالكويت كما هو معلوم كانت محنة قاسية بكل المقاييس والإعتبارات، إن ما ارتكب في الكويت من صور التعذيب والتنكيل والإعتداء على الحرمات لأمور تقشعر منها الأبدان وتشمئز منها النفوس، فهل كان هناك مايدعو لذلك، إن الكويت بلد عربي مسلم، لم يعهد منه إعتداء على أحد، ولم يعرف عنه إقدام على إغتصاب حقوق لأحد، جارا كان أو غير جار، بل إن المراقب للعلاقات بين الكويت ودول العالم يجد أن الكويت دائماً من البلدان التي تمد يد المساعدة في المحن والخطوب، وهي أكثر في هذا المجال بالنسبة للدول العربية والإسلامية، وأكثر ما عرف من مساندتها ومؤازرتها كان للعراق.

فما سبب ماحدث؟

أ ـ هل أقدم الكويت على أعمال تنتقص من سيادة أو حقوق العراق؟

ب ـ هل قصر الكويت في مساندة كان ينبغي عليه بحكم الأخوة والجوار في أدائها؟

الواقع يشهد بغير ذلك، فالكويت في المساحة وعدد السكان، وأقل قدرة بشرية ومادية وعسكرية من أن يقدم على الاعتداء.

كما أن الكويت كان أكثر جيران العراق مساندة وإمداداً للعراق بالمساعدات منحاً وقروضاً حتى تراكمت القروض وأصبحت تعد بالمليارات.

وإذا لم يكن شيء من الكويت ضد العراق يستوجب ماحدث في منظور المراقب والخبير بالعلاقات بينهما، فماذا إذن؟

جـ - يبقى في مجال الفرض. احتمالان:

الأول: أن يكون ماحدث عقابا من الله على معاص شاعت.

الثاني: أن يكون ماحدث إختباراً وفتنة من الله تعالى.

أما الفرض الأول فمدار الحكم فيه إلى الله تعالىٰ والمعول فيه على حكمته وسننه في الكون وفي المجتمعات، ومما لا شك فيه أن كل أمة فيها الصالحون والجادون، والملتزمون بهدى من الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما أن فيها الطالحين اللاهين والمغرورين بأنفسهم وبما منحهم الله من جاه أو مال أو سلطان المتطاولين على عباد الله، والمتهاونين المفرطين، المعرضين عن هدى الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم الذين «استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله» (١٩ المجادلة) .

وأما الفرض الثاني فهو أيضاً سنة من سنن الله تعالى، فما حدث وإن كان من جانب الطغاة تبريراً خسيساً، ونكراناً للجميل لا عهد للبشرية به، ووحشية تنفر الوحوش منها، وخسة تبرأ أخس الحيوانات من إرتكابها، إلا أنها في جانب أبناء الكويت والمقيمين بها والمتعاملين معها من الأشقاء المخلصين، ومن الأصدقاء الموالين، كانت نكبة بكل المقاييس أصطلي بها الجميع على درجات متفاوتة، كل على حسب ماقدر الله له.

وسيأتي في هذا المبحث وقفة أمام سنة الله في الابتلاء.

وإذا كنا هنا في مجال البحث عن أسباب ومبررات هذا الإحتلال فإننا لانستطيع أن نقر ما حدث كأسلوب لحل المشاكل، فإن العالم الآن لايقر هذه الأساليب البربرية، فالمشاكل بين الأمم يجب أن تحل بالوسائل الحضارية، والتحكيم الدولي.

والإسلام بصفة عامة لايقر العدوان ولا الظلم، ولا يقر إنتهاك الحقوق والحرمات.

وعلى كل، فنحن في مجال البحث عن الحقيقة، وفي مجال الحيدة في البحث يجب أن نرى وندرس مبررات العراق، ونبحث عن الحق أو الباطل فيها.

دعاوي العراق في تبرير إحتلاله للكويت

منذ اللحظات الأولى للغزو العراقي للكويت، والإعلام العراقي يردد إدعاءات يبرر بها غزوه للكويت، وقد تأثرت بها نسبة ممن ليست لهم صلة ولامعرفة بالكويت والعراق، ثم بدأت كثير من الحقائق، وصور السلب والتخريب وانتهاك الحرمات تتكشف فبدأ الناس يعرفون دوافع وأهداف هذا الغزوفتغيرت نظرتهم ومواقفهم.

ومن الدعاوي العراقية التي كان إعلام العراق والدول الثلاث المتواطئة معه يرددها.

١ ـ أن الكويت حدث به إنقلاب ضد حكم آل الصباح، وطلب الإنقلابيون مساندة العراق، فتحرك الجيش العراقي وغزا الكويت إستجابة لطلب النظام الجديد.

٢ ـ أن العراق قام بهذا الغزو تحقيقا للوحدة العربية، والقضاء على الحدود المصطنعة التي أقامها الإستعمار بين أجزاء الوطن العربي.

٣ ـ أن العراق ضم الكويت ليحقق عدالة توزيع الثروة بين أغنياء العرب في دول الخليج وفقرائهم في باقي البلاد العربية الأخرى.

٤ ـ أن هذا الضم هو لتحرير البلاد العربية من النظم الفاسدة وإعلاء لشأن الإسلام، وأن المواجهة بين العراق والقوى الأجنبية تعبير للذود عن الإسلام ضد أعدائه.

٥ ـ وأن الحملة التي توجه ضد العراق هي بسبب موقفه القوي ضد إسرائيل، وبالتالي فإن العراق لن يقبل بحل الأزمة التي ترتبت على إحتلاله للكويت إلا بالتوازي مع حل القضية الفلسطينية.

٦ ـ أن الكويت قد أغتصب أرضا وحقول نفط عراقية.

٧ ـ أن للعراق حقا تاريخياً بحكم أن الكويت تابعاً للبصرة، فهو جزء من العراق، وهذا الغزو لاعادة الفرع إلى الأصل.

فحص الدعاوي العراقية:

١ ـ ثبت أن الكويت لم يحدث فيه إنقلاب، وحكومة الانقلاب المزعوم لم يكن أفرادها كويتيون بل عراقيون، فما أعلن عنه كان مجرد ادعاء.

٢ ـ وأما أن الغزو كان لتحقيق الوحدة العربية، فأي مراقب لأوضاع المنطقة لو عرض عليه هذا القول قبل الغزو لتوقع ماحدث بالفعل ـ فالأمة العربية كانت سائرة في طريق التنسيق للوحدة، وكانت العلاقات العربية متناغمة بين كافة الأنظمة العربية تقريباً فضلا عن الشعوب، فكانت قيام الاتحادات العربية الثلاث: ـ مجلس التعاون لدول الخليج العربي، واتحاد الدول العربية، والاتحاد المغاربي، يعمل كل منها على تنظيم أوجه التعاون فيما بين دوله، وبدأت هذه الإتحادات بتنسيق مع الجامعة العربية في دراسة مجالات التعاون والتنسيق بين هذه الاتحادات فجاء الغزو العراقي للكويت فبث الفرقة والعداوات، والتشرذم بين الدول والشعوب العربية.

٣ ـ وأما عدالة توزيع الثروة فالمفروض أن الداعي لأمر يكون هو القدوة فيه، وهذا لم يحدث في العراق، ولا منه، فقد كان العراق دائماً هو الذي يطلب ويأخذ، ولم يبذل للعرب ولاغيرهم شيئاً من ثروته الهائلة المتعددة التي تفوق إمكانات كل دولة من الدول العربية.

٤ ـ وأما أن الإحتلال كان لتحرير الدول العربية من النظم الفاسدة، فإن أي عارف بأوضاع الدول العربية دولة دولة، ونظاماً نظاماً سوف يقول الحقيقة في نتيجة المقارنة العادلة التي تبطل هذا الزعم. ودستور حزب البعث المعادي للأديان، وتاريخه المعادي للإسلام يبطل إدعاء أن الغزو لإعلاء شأن الإسلام.

وأما أن الإحتلال كان غايته القصوى تحرير فلسطين، فمتى دخل العراق حرباً ضد اسرائيل منذ حروب عام ٤٧، ٤٨ إلى أن تولى حزب البعث العربي الاشتراكي بعد أن أطاح بنظام نوري السعيد، وماذا قدم حكم عبد الكريم قاسم ثم صدام من دعم مادي أو عسكري لتحرير فلسطين، ووقائع تاريخ القضية الفلسطينية وحروبها لم تحو دليلا ولا إشارة لجهاد جندي عراقي واحد، وكان الجنود العراقيون إذا سئلوا عن عدم مشاركتهم في القتال قالوا «ماكوا أوامر».

٥ ـ وأما أن تجمع القوى العالمية ضد العراق كان بسبب مواقفه من اسرائيل فأي المواقف يقصد، مواقف وسائل الاعلام، ـ بيع الكلام؟ ـ أم مواقف عسكريه مع جيش اسرائيل؟ أم دعم مادي للصامدين في الأرض الفلسطينية، أم أي دعم.؟ فمتى وكيف؟

٦ ـ وأما أن الكويت قد إغتصب أرضاً عراقية ـ فالواقع الذي أثبتته لجنة الأمم المتحدة لترسيم الحدود ـ أن العراق هو الذي حرك حدوده بالقوة إلى جنوب حقل الرميلة الكويتي، لمسافة (٥ر١كيلو متر) داخل الأراضي الكويتية وقاموا بحفر آبار بشكل أفقي متصل، واستولوا على إنتاج هذه الآبار لمدة عشر سنوات قبل الغزو، والغريب أنهم يدعون أن هذه الآبار آباراً عراقية، وأن الكويت استولت عليها واستغلتها بمقدار ٢٤٠٠ مليون دولار أثناء إنشغال العراق بحربه مع إيران في حين أن العراق هو الذي باع نفطاً بهذا المبلغ من الحقوق الكويتية فهو المدين بهذا المبلغ

للكويت وليس العكس، فادعاءات العراق قلبت الوضع.

هذا بالإضافة إلى دعم الكويت للعراق أثناء حربه مع إيران بقروض تقرب من أربعة عشر مليارا من الدولارات علاوة على الدعم كهبات تعادل أو قد تزيد عن هذه القروض.

٧ ـ وأما أن الكويت جزء من العراق على أساس أن الكويت كان لفترة وجيزة، وأثناء حكم الشيخ مبارك من عام ١٧٩٧ إلى عام ١٧٩٩م قائمقامية تابعة لوالي البصرة، فأين هذه المدة من حماية الأسطول الكويتي للبصرة من الشرق والجيش الكويتي من الجنوب بطلب من الحكومة العثمانية، وكانت الحكومة العثمانية تدفع لشيوخ الكويت رواتب مجزية في مقابل حماية الكويت لأملاكها، والكويتيون منذ ذلك العهد إلى الآن لهم أراضي وبساتين وعقارات كثيرة في البصرة، والكثير من أبناء الكويت من مواليد البصرة، ومنهم كثيرون لهم إقامة مزدوجة في البصرة وفي الكويت، فإن جاز منطق ضم الأصل للفرع، فالأولى أن تضم البصرة للكويت.

لقد كان نفوذ الشيخ براك زعيم بني خالد حاكم الإحساء يمتد إلى مشارف البصرة، وهو الذي منح هذه المنطقة لمن ساندوه من قبيلة «العتوب» بزعامة أحد أبنائها الشيخ صباح الأول جد آل صباح حكام الكويت على مدار تاريخها، وذلك مكافأة لهم على مساندتهم له في حربه ضد الدولة العثمانية لتحرير هذه المنطقة من مشارف البصرة إلى الاحساء من نفوذ الدولة العثمانية.

وفيما يأتي عرض موجز لنشأة وتاريخ الكويت، ثم الاتفاقات التي تحديد حدودها، واعترافات العراق بالكويت وحدودها، وإعترافات المنظمات الدولية والإقليمية بها.

الكويت، ودعوى أنها جزء من العراق

الدراسة العلمية الموضوعية تصل دائماً إلى أن الكويت ظلت دائماً كيانا مستقلاً منذ نشأته، وحدود الكويت مسجلة في وثائق وخرائط واتفاقيات معروفة ومسجلة دولياً لاينكرها ولايدعى زيفها إلا من يريد مخالفة الناس ومغالطة الحقائق العلمية والتاريخية.

ظلت الكويت كيانا متميزاً، استمر محتفظاً باستقلاله تحت كل الظروف، ورغم كل المتغيرات، وكانت علاقته مع الدولة العثمانية التي شمل نفوذها كامل الأراضي العراقية تقتصر على تلك الصلة الإسلامية العامة التي تربط الأقطار الإسلامية بالخلافة العثمانية، وعلى مدار تاريخ الكويت لم يكن هناك أي وجود عثماني في أي جزء من أراضي الكويت.

ويشهد لذلك أنه على مدار التاريخ حتى حرب تحرير الكويت من الغزو العراقي كان أهل الكويت يعتمدون على أنفسهم في الدفاع عن أنفسهم وبلدهم من هجمات وغارات القبائل دون مساعدة من السلطات العثمانية التي تحكم البصرة أو بغداد، وأنهم بنوا أسوار الكويت عام ١٧٦٠ لحماية مدينتهم.

ويشهد على ذلك أيضاً أن الكويت كانت ملجأ للثائرين على السلطات العثمانية في بغداد (لجأ كل من الشيخ ثويني شيخ المنتفق، ومصطفى أغا متسلم البصرة إلى الشيخ عبدالله الصباح حاكم الكويت (١٧٦٢ ـ١٨١٥) إثر تمردهما على سليمان باشا وإلى بغداد، ورفض الشيخ عبدالله الصباح تسليمهما للسلطات العثمانية رغم تهديدها له بتوجيه حملة لإرغامه على تسليمهما.

وكذلك إنتقال الوكالة البريطانية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية. من البصرة إلى الكويت، وما كان يمكن أن يتم ذلك لو كان للدولة

العثمانية نفوذ على الكويت.

والكيان الكويتي المستقل كان واضحاً أيضاً مع الدول الكبيرة المتصارعة في المنطقة، فقد حرصت الكويت على إتباع سياسة حفظ التوازن بين هذه القوى، سياسة تقوم على التعاون، وترفض التبعية، ويدل على ذلك أنها رفضت أن تنضم إلى معاهدة الهدنة البحرية التي وقعتها بريطانيا مع رؤساء الساحل الجنوبي للخليج العربي عام ١٨٢٠م رغم الضغوط الكبيرة التي مارستها بريطانيا على الكويت.

وكذلك لم ترضخ الكويت لضغوط الألمان بتأييد من الدولة العثمانية فلم توافق على بيع أو تأجير منطقة ساحلية بالقرب من كاظمة لجعلها محطة نهائية لخط سكة حديد برلين ـ بغداد عام ١٩٠٠م وعامل أمير الكويت الشيخ مبارك الصباح البعثة الألمانية بجفاء، ورفض قبول هداياهم والتفاوض معهم، رغم تأكيدهم أنهم حصلوا على موافقة السلطان العثماني شخصيا، وأكد لهم الشيخ مبارك أن الكويت وحدها هي صاحبة السلطة على أراضيها. من البصرة إلى الكويت، وما كان يمكن أن يتم ذلك لو كان على الكويت ولاء أو تبعية للدولة العثمانية.(١)

وإذا كانت هناك دعوى بأن الكويت كانت تابعة للبصرة، فإن الواقع التاريخي يشهد بأن البصرة كانت في حماية الكويت أكثر من فترة، كما كانت هناك دلالات أخرى تدل على أن الكويت وشيوخها كانت لهم حقوق في البصرة وليس العكس.

١ ـ حينما تعرض شيخ الكويت الشيخ جابر للتهديد من بريطانيا لرفضه التوقيع على معاهدة الصلح البحرية لجأ إلى حيلة تتمثل في رفع العلم العثماني على المراكب الكويتية، فكان في ذلك شيء من الولاء للدولة

---

(١) بتصرف [يراجع ترسيم الحدود الكويتية العراقية ص١٢، الكويت وجودا وحدودا ص٥٢، ٥٥، ٥٦].

العثمانية، وفي مقابل رفع هذه الأعلام بدأ الشيخ جابر ـ كما تشير بعض المصادر بدفع خراج سنوي من خراج مزارعه من بساتين النخيل والأراضي الزراعية في البصرة، وكان الشيخ جابر يتلقى كل عام خلعة من الباب العالي (السلطان العثماني) تكريماً له.

٢ ـ لم ينتظم الشيخ جابر في دفع الخراج، لأن الباب العالي استنجد بالشيخ جابر في الدفاع عن البصرة ضد غارات قبائل بني كعب التي أجبرت المتسلم العثماني على الفرار للبصرة على الفرار إلى الكويت فأنجده الشيخ جابر ببضعة سفن كويتية مليئة بالرجال والذخيرة.

٣ ـ بعد ذلك بخمس سنوات قدم الشيخ جابر مساعدته للدولة العثمانية للقضاء على تمرد أهالي الزبير.

٤ ـ طلبت الحكومة العثمانية من الكويت الدفاع عن شط العرب وحمايته وكانت تدفع رواتب سنوية لشيوخ الكويت ـ يدفعها لهم ممثلو الدولة في بغداد والبصر.

[بتصرف ـ الكويت وجودا وحدودا ص ٥٦].

أوضاع العراق منذ العصر العباسي

مقارنة بنشأة وأوضاع الكويت

لعل أهم مايلاحظه أي مؤرخ محايد أنه (ولنحو ثلاثة قرون ١٧١٢ ـ ١٩٩٠)، ظل في المنطقة المطلة على الساحل العربي للخليج العربي كيان مستقل متمايز، استمر تميزه السياسي والإقتصادي والحضاري رغم كل الظروف وكل المتغيرات.

فقد تعددت أشكال هذه الظروف، وفيها:

أ ـ قيام الدولة العثمانية ووصولها وسيطرتها على كل بلاد الرافدين (العراق) وعلى شمال شبه الجزيرة العربية حتى الإحساء.

ب ـ وجود دولة كبيرة متماسكة على الجانب الشرقي من الخليج سواء كان أسمها فارس أو إيران.

جـ ـ محاولات توحيد شبه الجزيرة العربية التي قام بها أساسا السعوديون.

د ـ الوجود العسكري البحري لعدد من الدول الاستعمارية الكبيرة في الخليج، وفي وسط هذه الظروف، ورغم تصارع هذه القوى ـ نجح أبناء الكويت من أبناء قبيلة العتوب بزعامة أحد أبنائها الشيخ صباح الأول وأبناؤه من بعده أن ينشئوا كيانا إقتصادياً وإجتماعياً وسياسياً متمايزاً ذو طبيعة مدنية بحكم الدور التجاري والبحري لهم.

ومنذ نشأة الكويت لم يكن العراق تاريخياً جزءاً من المعادلة الكويتية في أي وقت من الأوقات إلا بعد استقلال العراق حديثا في عام ١٩٣٢م.

وبينما كانت الكويت منذ نشأتها كيانا مستقلاً، كان العراق منذ سقوط الدولة العباسية على أيدي المغول سنة (٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨م) قد تجزأ إلى مجموعة من الإمارات المغولية، وأرتبط بالكتلة المغولية الفارسية، ولم ينفك

عنه هذا الارتباط إلا بعد قيام الدولة العثمانية فاستولت الجيوش العثمانية على هذه الولايات ولكن لسوء الحظ ظل الصراع بين الدولتين الفارسية والعثمانية على هذه الولايات، الأمر الذي أثر على استقرارها السياسي والبشري.

واستمرت هذه الإمارات في معظم الأوقات تابعة للدولة العثمانية، (ولايات عثمانية) حتى انتهت الحرب العالمية الثانية، والتي هزمت فيها ألمانيا وحليفتها الدولة العثمانية، فانحسر نفوذها عن البلاد العربية والإسلامية، ومنها الولات التي تكون منها عقب ذلك العراق الحديث، ولكن العراق لم يتحرر بل خضع للاحتلال وللإنتداب البريطاني حتى نال استقلاله عام ١٩٣٢م.

بتصرف [الكويت وجودا وحدودا ص٤٢، ص٤٧].

العلاقات الكويتية العراقية

قبل وبعد تحرير وتكوين العراق عام ١٩٦٣م

أولا: قبل تحرير العراق:

١ ـ كان والي البصرة يؤيد خصوم الشيخ مبارك بن الصباح مما دفع الشيخ مبارك للتحالف مع الإنكليز ـ تحالف تبادل مصالح ـ وبدأت محاولاته معهم في فبراير عام ١٨٩٧م، ولهذا ولظروف أخرى اضطر السلطان العثماني إلى الإعتراف بواقع الكويت المستقل وأصدر فرماناً بتعيين الشيخ مبارك قائمقاماً على الكويت في نفس العام ١٨٩٧م مع تقرير راتب نقدي قدره ثلاثمائة جنيه، وبهذا الفرمان تقرر اعتراف الدولة العثمانية باستقلال وتميز الكويت، ووقف مؤامرات والي البصرة ضد الكويت، وضمان أملاك الكويت وشيوخ آل الصباح في البصرة.

٢ ـ وانتهت اتصالات الشيخ مبارك مع الإنكليز بتوقيع معاهدة ٢٣ يناير عام ١٨٩٩، وتشير الوثائق البريطانية إلى أن الدافع لطلب الشيخ مبارك وإستجابة انكلترا بتوقيع هذه المعاهدة كان في محاولات الدولة العثمانية على الكويت لتتنازل عن جزء من أراضيها إلى ألمانيا لتوصيل خط سكة حديد برلين ـ بغداد إلى الكويت، وقد تقدمت ألمانيا فعلاً بطلب ذلك من شيخ الكويت بتأييد من الدولة العثمانية في يناير ١٩٠٠، ورفض الشيخ مبارك الطلب الألماني وعامل البعثة الألمانية بجفاء.

٣ ـ حاول العثمانيون تأليب وتأييد قوة محلية ضد الكويت، فحرضت الأمير عبد العزيز بن الرشيد في حائل على مهاجمة الكويت ووقعت بينهما معركة في الصريف عام ١٩٠١ تلقى فيها الكويتيون هزيمة قاسية، وحاولت الدولة العثمانية جنى ثمارها باقصاء الشيخ مبارك عن الحكم

ولكن تدخل بريطانيا في ١١ سبتمبر ١٩٠١م أوقف هذا الترتيب العثماني.

٤ ـ وفي عام ١٩٠٢ أرسلت الدولة العثمانية قوات عسكرية استهدفت استلاب جزء من الأراضي الكويتية على الخليج في المنطقة الواقعة بين أم قصر وسفوان ـ بإيعاز من ألمانيا ـ وهي منطقة تتوفر فيها المخارج العميقة لخور عبدالله والزبير لتكون نهاية خط سكة حديد بغداد بدعوى أن هذه المناطق التي استولى عليها العثمانيون تدخل ضمن ولاية البصرة، وقد رفض الشيخ مبارك هذه الدعوى مؤكداً أن الأماكن التي استولت عليها الدولة العثمانية استوطنها الكويتيون مند وقت طويل، وأن القبائل الخاضعة لسيطرته تعمل في الصيد والغوص على اللؤلؤ فيها.

٥ ـ ويمكن القول بأن هذه التعديات العثمانية قد أسقط أية دعوى بتبعية الكويت للدولة العثمانية، وأظهر أن النزاع بينهما نزاع على الحدود، وهو النزاع الذي أوصل في النهاية إلى اتفاقية عام ١٩١٣م وتحددت فيها الحدود بين الكويت والبصرة، على ما أشار إليه الشيخ مبارك، وتتضح معالمها في الخريطة الملحقة بالإتفاقية البريطانية العثمانية[1].

٦ ـ بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى، وقيام حكم وطني في العراق تحت الانتداب البريطاني، وتولى الملك فيصل الحكم فيها عام ١٩٢٢ تم تخطيط الحدود بين الكويت والعراق طبقاً لما جاء في الاتفاقية الانكليزية العثمانية المعقودة في ٢٩ يوليو عام ١٩١٣م.

ثانيا: بعد استقلال العراق:

١ ـ في أعقاب استقلال العراق وإنضمامه لعصبة الأمم في عا ١٩٣٢م أرسل نوري السعيد رئيس وزراء العراق مذكرة إلى المندوب السامي البريطاني

(١) [تراجع هذه الخريطة في كتاب ـ الكويت وجودا وحدودا ص٧٧].

بتاريخ ٢١ يوليو ١٩٣٢ أعاد فيها التأكيد على صحة الحدود مع الكويت.

٢ ـ ظهرت إتجاهات في العراق تدعو للوحدة بين العراق والكويت عام ١٩٣٣ في برامج بعض الأحزاب خاصة «حزب الاتحاد الوطني» تحمس لها الملك غازي الذي حكم العراق (١٩٣٢ ـ ١٩٣٩). حيث أسال اكتشاف حقل البرقان عام ١٩٣٨ ـ وهو من أهم حقول النفط الكويتية لعاب الحكومة العراقية للإستفادة من هذه الثروة المتوقعة.

وأراد العراق توسيع نافذته على الخليج بعد أن ضاقت كثيرا نتيجة التنازلات التي قدمها لايران في اتفاقية شط العرب عام ١٩٣٧م، فبدأ بمضايقات للكويت كان منها تعطيل ترسيم «وضع علامات» الحدود الكويتية العراقية.

٣ ـ قامت ثورة في العراق سقطت فيها الملكية وحكومة نوري السعيد في يوليو عام ١٩٥٨م، وحرصت حكومة الثورة على إقامة علاقات صداقة وتكافؤ في مذكرة بعثها وزير خارجية العراق للكويت في ديسمبر ١٩٥٨، وظل التعاون وحسن الجوار لمدة ثلاث سنوات، حتى أعلن استقلال الكويت بموجب المذكرات التي تبادلها شيخ الكويت والمقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بتاريخ ١٩ يونيو ١٩٦١ وهذه المذكرات اعتبرت معاهدة جديدة أنهت إتفاقية الحماية التي عقدت في ٢٣ يناير ١٨٩٩.

٤ ـ وإثر إعلان استقلال الكويت لم يلبث أن ظهرت مطامع العراق في الكويت فقد أرسل عبد الكريم قاسم رئيس الحكومة العراقية تهنئة إلى شيخ الكويت لم يضمنها الإشارة إلى استقلال الكويت، وإنما التهنئة بالغاء اتفاقية عام ١٨٩٩ بإعتبارها اتفاقية غير شرعية لأنها عقدت بغير علم الدولة العثمانية التي كانت الكويت تابعة لها وأن الذي عقد هذه

المعاهدة هو الشيخ مبارك بن صباح الذي كان قائمقام الكويت التابع لولاية البصرة.

ثم لم يلبث أن اتضح الموقف بمطامع العراق حين عقد عبد الكريم قاسم مؤتمرا صحفيا في ٢٥ يونيو عام ١٩٦١ طالب فيه صراحة بضم الكويت باعتبارها مقاطعة تابعة للبصرة.

ثم أصدرت وزارة الخارجية العراقية بياناً ردد فيه دعاوى عبد الكريم قاسم، ونجحت العراق في تعطيل قبول الكويت في هيئة الامم بمساعد الاتحاد السوفيتي.

فأغلقت الكويت حدودها مع العراق، ووقفت مصر «الجمهورية العربية المتحدة» موقفا صلباً ضد العراق، واعترفت الجامعة العربية بالكويت وأرسلت قوات عربية فصلت بين العراق والكويت، وأنزلت بريطانيا قوات في الكويت بموجب المعاهدة بينهما المعقودة في يوليو ١٩٦١.

وإبان هذه الأزمة نشرت كل من الحكومتين العراقية والكويتية مالديها من وثائق يؤيد وجهة نظرها، فأصدرت العراق مجموعة من النشرات تحت عنوان «حقيقة الكويت».

كما أصدرت الكويت كتابا بعنوان «حقيقة الأزمة بين الكويت والعراق» أوردت فيه مجموعة من الوثائق والمكاتبات الرسمية الصادرة عن حكومة العراق ذاتها في مناسبات مختلفة تنطوي على الاعتراف باستقلال الكويت، وبعض هذه الوثائق كان بتوقيع عبد الكريم قاسم نفسه.

٥ ـ وانتهت هذه الأزمة بسقوط عبد الكريم قاسم، وبادر النظام الجديد بإصدار بيانات بالنسبة لمستقبل العلاقات العراقية الكويتية.

وجددت الكويت طلبها للإنضمام للأمم المتحدة، وقبلت عضويتها وأصبحت الدولة الحادية عشر بعد المائة في المنظمة الدولية.

ثالثا: العلاقات العراقية الكويتية بعد عام ١٩٦٣:

يمكن القول بأن الكويت خرج من أزمته الأولى مع العراق ووضعه الدولي أكثر قوة من أي وقت مضى.

وعموما فلم يمض وقت طويل على الإطاحة بحكم عبد الكريم قاسم حتى بدأت مباحثات على أعلى مستوى (بين رئيسي وزراء الكويت والعراق). في بغداد أسفرت عن التوقيع على وثيقة تحث على ضرورة فتح صفحة جديدة بين الدولتين تتفق مع مابينهما من روابط وعلاقات.

وتم الاتفاق على الأمور الآتية:

١ ـ اعتراف الجمهورية العراقية باستقلال دولة الكويت وسيادتها التامة بحدودها المبينة بكتاب رئيس وزراء العراق بتاريخ ١٩٣٢/٧/٢١م والذي وافق عليه حاكم الكويت بكتابه المؤرخ في ١٩٣٢/٨/١٠م.

٢ ـ تعمل الحكومتان على توطيد العلاقات الأخوية بين البلدين الشقيقين، وبندين آخرين يدوران في فلك التعاون الثقافي والاقتصادي وغيرهما:

* وقد عقدت عدة اتفاقات اقتصادية بين الجانبين عامي ٦٣، ١٩٩٤م مما يقدم للجانب الكويتي من الأسانيد على تعامل العراق مع الكويت باعتباره كيانا مستقلا.

* ولكن العراق رغم ذلك ظل يماطل في ترسيم الحدود على طول السنوات التي جرت فيها مباحثات لترشيحها، ولم يكتف بالمماطلة وعرقلة عملية الترسيم، بل قام بعدة انهاكات للحدود، ثم اجتياح فرقة عراقية لجزيرة بوبيان.

ويربط المراقبون بين إثارة العراق لمشكلات الحدود وطلبه المستمر لقروض، ثم قروض إضافية حدث مرات عديدة منها: إجتياح بوبيان عام

١٩٦٦، والمنطقة بين العبدلي وسفوان عام ١٩٦٧، واجتياح مركزي حدود أحدهما في الصامتة عام ١٩٧٣.

وقد أفصحت الحكومة العراقية الحالية عن مطامعها عام ١٩٧٣م عندما أبدت استعدادها لترسيم الحدود مقابل تنازل الكويت عن جزيرتي وربة وبوبيان، وهو ما رفضه حكومة الكويت.

* والمهم هنا أنه بامتداد الفترة منذ عام ١٩٦٣ وحتى قيام الحرب الإيرانية ـ العراقية. كانت مطالب بغداد منحصرة في قضية ترسيم الحدود، ولم يعد ثمة إثارة بدعاوى أخرى لحقوق في الكويت تاريخية أو غير تاريخية.[١]

ولم يكن متصورا على ضوء هذه الحقائق، فضلاً عن الموقف الكويتي المتميز خلال حرب الثماني سنوات في مساندة الكويت للعراق. لم يكن متصورا أن تدخل العلاقات بين البلدين إلى هذا الوضع المأساوي الذي أرتكبه العراقيون باجتياحهم لأراضي الكويت وسلبهم ونهبهم وتدميرهم وانتهاكاتهم للحرمات.

وبعد، فهذا عرض سريع لنشأة وتاريخ الكويت، وعلاقاتها بالعراق يظهر من أحداثها التاريخية ومن الوثائق والمعاهدات والخرائط الجغرافية أن الكويت نشأت وظلت على مدى تاريخها كيانا مستقلاً متميزاً وأن حدودها معترف بها إقليميا ودولياً، ومحددة في الوثائق والمعاهدات، وأن دعاوى النظام العراقي لا أساس لها من الصحة ولايسندها واقع قانوني ولاتاريخي.

(١) [بتصرف ـ الكويت وجودا وحدودا ص٩٠- ١١٠]. وترسيم الحدود العراقية الكويتية.

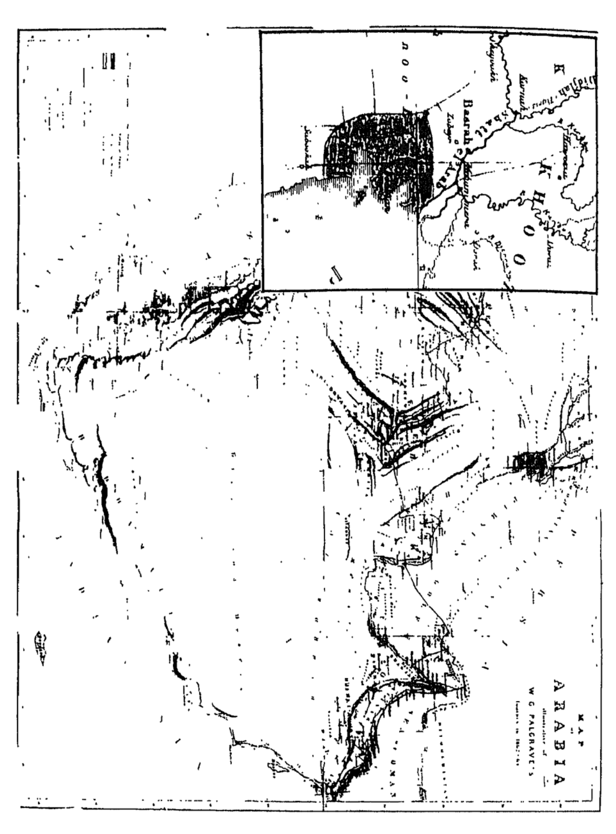
ملاحق

* ـ شكل (١) خريطة ورد في كتاب الرحالة المؤرخ «كارل ريتر» ويتبين منها أن الحدود الكويتية كانت تمتد في داخل العراق إلى مشارف البصرة نشرها سنة ١٨١٨م قبل وجود دولة العراق بحوالي ١١٣ مائة وثلاث عشرة سنة.

* ـ شكل (٢) خريطة رسمها على الواقع الرحالة «بالجريف» للجزيرة العربية، أثناء رحلته للجزيرة العربية بين عامي ١٨٦٢ و ١٨٦٣، وهي تكاد تكون مطابقة لخريطة «كارل ريتر».



(شكل) ١



(شكل) ٢

من سنن الله في المجتمعات

إبتلاء المؤمنين وفتنتهم

هذا الكون العظيم لم يخلقه الله اعتباطا، ولاكيفما اتفق، وإنما خلقه لحكمة، وخلقه كله وكل جزء وكل مركب وكل كائن فيه وفق قوانين ثابتة، وقَدَرٍ معلوم. «إنَّا كل شيء خلقناه بقدر» «٤٩ القمر» وكما كان خلقه وخلق كل شيء بقدر، فكذلك تدبير كل شيء بقدر فللمركبات الكونية سنن «قوانين» تحكم سيرها سنن لاتتخلف ولا تتغير، ولاتملك هذه الكونيات الخروج عنها فالشمس والقمر والليل والنهار، مثلا يقول الله تعالى في شأن سننهم التي تحكمهم «**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون**» «٤٠ يس». والانسان والمجتمعات الانسانية أيضا كل يخضع لسنن الله تعالى. سنن لاتتخلف، غير ان مركبات الكون مفطورة على ماسخرت، أما الإنسان فقد منحه الله العقل والإرداة والقدرة على تنفيذ ما أختار فهو بهذا أهل للتكاليف وأهل للثواب والعقاب، والإيمان أو الكفر، وتنفيذ منهج الله أو التقصير فيه أو الأعراض عنه، مقدمات لابد أن تكون لها نتيجة متناسبة معها، فمن هذه السنن شكر النعمة ونتائجه، وكفر النعمة وعاقبته «**وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد**» [٧ابراهيم] ومن سنن الله التي لم تتخلف شأنها شأن غيرها من السنن في الكون وفي الإنسان. سنة الله في المؤمنين، سنة الإبتلاء، الاختبار، الفتنة، فالمؤمنون على كافة مستويات إيمانهم وفي مقدمتهم أولئك الذين اصطافهم الله من الرسل والأنبياء والصديقين والشهداء كلهم مروا بهذه التجربة ووقعت لهم هذه السنة، منذ بدء الخليقة حتى أمة محمد ﷺ، وفي هذا المجال، وردت عدة آيات قرآنية كريمة، وعدة أحاديث نبوية شريفة، وسنعيش لحظات في ظلال آيات كريمة من أول سورة العنكبوت،

وبعض مايتصل بها من آيات وأحاديث وآراء في تفسيرها، وإستلهام مراد الله ورسوله فيها.

يقول الله تعالى: «**ألم(١) أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون(٢) ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين(٣)**» وأول مايطالعنا في هذه الآيات هذه، أولها، وهي عبارة عن كلمة من ثلاثة حروف، ولكنها لاتنطق ولا تقرأ «كلمة» فلا يقال ـ ألم ـ وإنما يقرأ وينطق بأسماء حروفها «أ، ل، م» ألم فنقرأ هكذا: «ألف لام ميم» ومن الطبيعي، أن يجتهد العلماء في تفسيرها، ومحاولة معرفة المراد منها، وقد أورد المفسرون بعضا من هذه الأقوال، للصحابة، والتابعين ومن بعدهم. يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: قد أختلف العلماء في الحروف المقطعة التي في أوائل السور.

* فمنهم من قال: هي مما استأثر الله بعلمه، فردوا علمها إلى الله ولم يفسروها.. حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان.

* ومنهم من فسروها، وهؤلاء روى عنهم عدة أقوال في الراد منها: ومن ذلك ماروى عن ابن عباس قوله: «الم» اسم من أسماء الله الأعظم، وروي مثله عن علي وغيره أيضا.

- وروي عن ابن عباس قال: «ألم» هي حروف مشتقة من «أنا الله أعلم» أي أن: الألف مشتقة من الضمير «أنا» واللام مشتقة من لفظ الجلالة «الله» والميم مشتقة من صفة من صفات الله وهي «العلم» أعلم.
- وعن ابن عباس أيضا: هي قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله تعالى.
- وعن ابن مسعود وناس من الصحابة: هي حروف اشتقت من حرف هجاء أسماء الله تعالى.. فالألف مفتاح «الله» واللام مفتاح اسمه

«لطيف» والميم مفتاح اسمه «مجيد» فالألف: آلاء الله، واللام لطف الله، والميم مجد الله.

ونلاحظ في هذه السورة أن هذه الأحرف جاءت مقدمة لبيان سنة من سنن الله تعالى: وقضية من القضايا الإنسانية التي لاتتخلف نتائجها عن مقدماتها على مدار الزمان وغير التاريخ، فكأن هذه الحروف رموز لأسماء من أسماء الله وصفاته أقسم الله تعالى بها على قضية هامة وهي ابتلاء المؤمنين في عهد الرسول محمد ﷺ وبأنها سنة من سنن الله إنطبقت عليهم كما إنطبقت على غيرهم من قبل وجاء بيان هذه السنة بصيغة الإستفهام الإنكاري «**احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون**» ثم تعقبها الآية الثالثة تقرر أن افتتان المؤمنين ليس بدعة حدثت للمؤمنين من أمة محمد فقط، وإنما هو سنة ماضية في كل المؤمنين، وكل المجتمعات المؤمنة السابقة «**ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**».

فهي اذن سنة ماضية في أمة محمد إلى يوم القيامة، وحسبهم أنهم سائرون على درب رسول اللهِّ وأصحابه، ودروب أنبياء الله ورسله السابقين والمؤمنين من إتباعهم، فهم ورثة الكتيبة المؤمنة، وهم الجديرون بحمل اللواء، وهداية البشرية، وماداموا كذلك فلابد أن يمحصوا حتى يتميز الذين صدقوا في إيمانهم ووطنيتهم من الذين كذبوا فحق للمؤمنين من أبناء الكويت الحبيبة أن يفرحوا اليوم بما حل بهم، وليستبشروا به، فهو دليل على أنهم ورثة الأماجد من الركب المؤمن، وأن هذه المحنة كانت «**ليعلم الله الذين صدقوا، وليعلم الكاذبين**» .الآيات الأولى من سورة العنكبوت. كما مر بين الله تبارك وتعالى فيها أن «الفتن» سنة من سنن الله، ليتميز صادق الإيمان عن المنافق، ويتميز قوي الإيمان عن ضعيف الإيمان، ليتميز المواطن الصالح المحب لدينه ووطنه وقومه، من الدعي الأناني الذي يعيش عالة على المجتمع ينهل من خيره في رخائه وأمنه فاذا حلت بأمته ووطنه ضائقة

أو كارثة نأى بنفسه بعيدا عنه، فلا يهب للدفاع عنه، ولايساهم في اقالته من عثرته.

وكلمة «فليعلمن» بفتح الياء واللام. ليس معناها. أن الله لم يكن يعلم صدق ايمان المؤمنين وكذب المنافقين إلا بعد فتنيهم وابتلائهم، وانما معنى «فليعلمن» هنا: فليميزن، فليظهرن، وعلى ذلك فيكون المعنى: **فليميزن الله الذين صدقوا وليميزن الكاذبين**، فليظهرن الله صدق المؤمنين، وكذب الكاذبين المنافقين، ولقد كان الامام على كرم الله وجهه يقرأ «فليُعلِمنَّ» بضم الياء وكسر اللام، والمعنى على هذه القراءة قريب جداً من المعنيين السابقين، أي أن الله تعالى يُعْلمُ المؤمن بأي صورة من صور الاعلام بصدق إيمانه ورضوان الله عليهم، أو أنَّ الله تعالى يظهر للناس صدق إيمان المؤمن، وكذب إدعاء المنافق والكاذب.

يقول الإمام ابن كثير في بيانه لهذه الآية ولسنة الله تعالى مع المؤمنين: إن الله تعالى لابد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان. كما جاء في الحديث الصحيح: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلي الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء**» ثم قال: وهذه الآية كقوله تعالى: «**أم حسبتم أن تتركوا، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون**» «١٦ التوبة». وقوله: «**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله. ألا إن نصر الله قريب**» «٢١٤ البقرة» ومثلها قوله تعالى: **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**» «١٤٢ آل عمران» ثم يقول ابن كثير: ولهذا قال ـ الله تعالى ـ ها هنا «**ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**» أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هم كاذبون في قولهم ودعواهم، والله سبحانه وتعالى يعلم ما

كان ومايكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة أ. هـ.

سبب نزول هذه الآيات:

ولقد نزلت هذه الآيات بشارة وتسلية وصحاب رسول الله ﷺ الذين آذاهم المشركون وعذبوهم العذاب الشديد وسجنوهم، وشوهوهم، وقتلوهم، يستوي في ذلك الأحرار الأعزاء في أهلهم كمصعب بن عمير ريحانة شباب مكة، وأمثاله غير قليل، ومنهم الضعفاء أحرارا وموالي وعبيدا، كعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر وأمه سمية، وبلال غيرهم وغيرهم، ومنهم من غدر بهم كشهداء بئر معونة.

* والفتنة ومشتقاتها في الآيات السابقة وغيرها تعبر عن الإمتحان والإختبار، ومثلها وردت كلمة الإبتلاء، وهو الاختبار والإمتحان.

* **والإبتلاء أنواع:**

أ ـ منه الإبتلاء بالخير.

ب ـ والابتلاء بالشر.

جـ ـ والابتلاء بالعبادات والتكاليف.

فالله تعالى يبتلي عباده:

أ ـ بالنعم فمنهم من ينجح في الابتلاء «الاختبار» فيشكر الله على نعمه، ويؤدي لكل نعمة حقها، ومنهم من يرسب فيكفر بنعم الله ويحجبها عن عباد الله ولايؤدي حقها.

ب ـ ويبتليهم بالمصائب فمنهم من يصبر ويحتسب، واذا كان لهذه المصائب سبيل لدفعها جاهد في دفعها، ومنهم من يسخط أو ينقط أو يفكر.

جـ ـ ويبتليهم بالتكاليف والعبادات والشرائع، فمنهم من يقوم بها ويؤديها ويلتزم بها، ومنهم من يتبرم بها أو يتكاسل أو ينشغل عنها.

وإذا كانت نعم الله تعالى من الصحة وسلامة الأبدان، أو بسط الرزق، أو رفعة الشأن وعلو المنزلة، أو الجاه والسلطان، أو كثرة الأبناء والأهل وغير ذلك، قد تغمر الإنسان ـ على سبيل الفتنة والابتلاء، فإنها أيضا قد يسبغها الله على عباده الذين صدقوا في إيمانهم وشكروا نعم ربهم، وصبروا واحتسبوا لله ما أصابهم، وصبروا وصابروا وجاهدوا في سبيل دينهم والتزموا بهدي كتابهم وسنة نبيهم. فتكون حسن جزاء من الله لهم، على حسن تلقيهم لإبتلاء الله لهم.

كما تكون الشرور والمصائب فتنا وإبتلاء وإختبارا فقد تكون كذلك عقوبة معجلة في الدنيا جزاء للكفر أو العناد أو الإفساد ومحاربة الله ورسوله ودينه والمؤمنين؟ أو التقصير والمعاصي.

الابتلاء واقع في حياة البشرية

أخبر الله أنه خلق آدم وبنوه للخلافة في الأرض

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة..﴾

وقد خلقه الله على صورة وكيفية مهيأة لهذه المهمة، وأنزل إليه الهدى «الوحي بالأوامر والنواهي والشرائع» التي تسدد خطاه إلى خيري الدنيا والآخرة، إلى صلاح حاله، وفلاح مآله، ومنحه حرية الاختيار والفعل، لتتكامل له وسائل تحقيق الخلافة.

واقتضت حكمة الله وعدله أن يبلى المكلفون، ليميز الله ـ بهذه الابتلاءات والفتن ـ الخبيث من الطيب، ويجازي كلا على ما انطوت عليه سريرته وما اقترفته يداه، وعلى هذا فالمكلفون جميعا لا بد أن يتعرضوا للابتلاء،

وتقع عليهم سنن الله بالعقاب أو بالثواب على حسب موقفهم وتصرفهم فيما ابتلوا به، وقد عمر القرآن الكريم بذكر صور الابتلاء لركب الإيمان والطاعة، وركب النشوز والمعصية، وماانطبق على الفريقين من سنن الله، وفيما يلي عرض موجز لصور من الابتلاء.

أ ـ فمن صور ابتلاء ركب الإيمان

١ ـ ابتلاء الله لآدم

* ابتلاه الله وزوجه ـ بالتكليف:

﴿... ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ [١٩ الأعراف].

* وحذره الله من المعوق له عن الطاعة.

﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ [١١٧ طه].

* ولكن آدم ضعف أمام وسوسة الشيطان، وأمام شهوة من الشهوات الدنيا:

﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما من سوءاتهما، وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما إني لكما من الناصحين. فدلاهما بغرور..﴾ .[٢٠ ـ ٢٢ للأعراف].

* كانت هذه المعصية عارضة ناتجة عن نسيان وضعف عارض أمام وسوسة إبليس، ولم تكن خبث طوية واعوجاج طبع وعناد وإصرار، لذلك عندما تبين لآدم وزوجه خطؤهما سارعا إلى الاعتراف بالخطأ وطلب المغفرة من الله.

﴿قالا ربنا ظلمنا انفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [٢٣ الأعراف].

* فكانت الاستجابة من الله وفق سنة من سننه الاجتماعية بقبول التوبة والجزاء الحسن.

﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ [١٢٢ طه].

«اجتباه» قربه وشمله بكرامته، وليس ذلك فحسب بل أول الصفوة الهداة **﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين﴾** اصطفى آدم ـ أول الأنبياء: ...

٢ ـ ابتلاء الله نوحا:

ابتلاه بطول عمره، وإصرار قومه على العناد والكفر.

﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما...﴾ [١٤ العنكبوت].

ولم يترك نوح وسيلة من وسائل الدعوة الا اتبعها مع قومه، ولم يترك فرصة الا انتهزها، ولا وقتا مناسبا إلا حاول معهم فيه، ولكنهم كانوا كما وصفهم عليه السلام.

﴿قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا، فلم يزدهم دعائي إلا فرارا، وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا، ثم إني دعوتهم جهارا، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا، فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ .[٥ ـ ١٢ نوح].

* **﴿قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا، ومكروا مكرا كبارا، وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا، ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا، وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا..﴾** [٢١ ـ ٢٤ نوح].

* فلما تأكد نوح من إصراره على الكفر وصدهم عن سبيل الله أعذر إلى الله **﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا، إنك إن تذكرهم يضلوا عبادك ويلدوا إلا فاجرا كفارا﴾** [٢٦، ٢٧ نوح].

* فكان لا بد من حلول سنة الله بهلاك وبيل في الدنيا للكافرين.

﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون﴾ [٧٥ الصافات].

﴿فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ [١٤ العنكبوت].

* وكان لا بد من حلول سنة الله بنجاة رسوله والمؤمنين، وتخليد ذكرهم للعالمين.

﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين، وتركنا عليه في الآخرين، سلام على نوح في العالمين﴾ .[٧٦ ـ ٨٠ الصافات].

ثم يعلن الله عن سنة من سننه في ختام إعلان تكريم نوح فيقول **﴿إنا كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين﴾** [٨١، ٨٢ الصافات].

٣ ـ ابتلاء إبراهيم عليه السلام:

أ ـ ابتلاه بتكاليف ـ عبادات ومناسك فقام بها خير قيام

﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن...﴾

ب ـ وابتلاه الله باصرار أبيه على الكفر حتى هدده بالرجم وطرده **﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾** [٤٦ مريم].

ومع ذلك ظل باراً بأبيه

﴿قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان حفيا﴾ [٤٧ مريم].

وصور ابتلاء ابراهيم عديدة ـ منها على سبيل الذكر الإجمالي:

جـ ـ مواقف قومه منه، وإلقائه في النار، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً.

هـ ـ وموقف النمرود منه، فنصره الله عليه في المحاورة.

و ـ ومن أشد الابتلاءات التي ابتلاه الله بها، ما حدث له مع فرعون مصر، ثم أمر الله له في المنام بذبح ابنه وحيده إسماعيل. وقد نجح عليه السلام في كل الاختبارات، لذا كافأه الله عنها كلها .**﴿فأرادوا به كيدا فجعلناهم**

الأسفلين، قال إني ذاهب إلى ربي ليهدين، رب هب من الصالحين، فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المؤمنين، إن هذا لهو البلاء العظيم، وفديناه بذبح عظيم، وتركنا عليه في الآخرين، سلام على إبراهيم، كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين، وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين، وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسسن وظالم لنفسه مبين﴾ [٩٨ ـ ١١٣ الصافات].

وكرمه هو وابنه إسماعيل ببناء البيت، واستجاب لدعائهما فجعل من ذريتهما الأمة المسلمة، وبعث فيها الرسول الخاتم، إمام الأنبياء والمرسلين.

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ [١٢٧، ١٢٨ البقرة].

ومن صور تكريم الله له ما ورد في هاتين الآيتين:

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه، ولقد اصطفيناه في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [١٣٠ البقرة].

وتكفينا هذه النماذج الثلاث من صور ابتلاء كتيبة الإيمان والطاعة.

هذا بالإضافة إلى ما ورد من صور الابتلاء في الآيات التي استشهدنا بها في المبحثين الثالث والرابع، ومن المعلوم أن غيرها في القرآن كثير جداً في آيات القرآن الكريم.

موجز لرهط الكفر والنشور

١ ـ ابتلاء إبليس:

ابتلاه الله بالتكليف في أمره بالسجود لآدم، فدفعه الغرور بأصله، والأنانية التي دفعته لكراهية آدم وحسده لما منحه الله من خلافة الأرض وطيشه الذي أعماه فغفل عن حكمة الله، ونزقه الذي دفعه إلى معصية الله، فكانت النتيجة أن طرده الله من الجنة، ومن رحمته، ولعنه.

﴿قال فاخرج منها فإنك رجيم، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾. [٣٤، ٣٥ الحجر].

٢ ـ قارون:

كان من قوم موسى ـ وآتاه الله من المال والكنوز ما يعجز العدد من الرجال الاشداء عن حمل مفاتيح خزائنه، وآتاه الله الجاه فأصبح وزيراً لفرعون، فلم يشكر الله بل اغتر بنفسه، وادعى انه بذكائه وعلمه حصل هذه الكنوز والأموال، وبخبرته وحكمته صار وزيراً، ونسي الله وجحد نعمه، فكان مصيره كما قال تعالى **﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾** [٨١ القصص].

ثم عقب الله على هذه النتيجة والسنة الاجتماعية بالتذكير بسنتين أخريين من سننه تعالى في المجتمعات.

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين، من جاء بالحسنة فله عشرة أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا بما كانوا يعملون﴾ [٨٣، ٨٤ القصص].

الدروس المستفادة:

* لعل أهم الدروس المستفادة:

١ ـ أن الحق أبلج وأن الباطل لا بد أن يندحر مهما علا وسطى **﴿فأما الزبد**

فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾.

٢ ـ وأن سنن الله ماضية فمن اتعظ بها نجا وفلح، ومن غفل عنها حلت نتائجها الوخيمة.

٣ ـ إن من أنعم الله عليه بنعم فشكرها بارك الله له فيها، ومن اغتر بنفسه، وبخل على الناس واستعلى عليهم أذهب الله عنه ما أنعم عليه، وخسف به وبماله.

﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾

﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم... قال إنما أوتيته على علم عندي... فخسفنا به وبداره الأرض عما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين».

٤ ـ أن من يعتز بغير الله يذله الله.

﴿ومن يتول الله ورسوله فإن حزب الله هم الغالبون﴾.

﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، أولئك حزب الشيطان هم الخاسرون﴾.

* ولمزيد من الوقوف على الدروس المستفادة نحيل إلى كتيب «محنة الكويت دروس وعبر» إعداد لجنة التوجيه والإرشاد بجمعية الإصلاح الاجتماعي، بالكويت.

قد عمرت سور القرآن الكريم بالآيات التي تضمنت الحديث عن سنة الله في:

أ ـ الابتلاء والفتنة.

ب ـ وأنواع الفتنة.

جـ ـ وموقف العباد من المؤمنين والكافرين والمنافقين في الفتن التي يبتليهم الله بها:

١ ـ فالمسلمون:

أ ـ منهم المؤمن قوي الإيمان المتلزم بهدي دينه الحنيف من الكتاب والسنة، ولهذا الصنف موقفه الملتزم الذي يمليه إيمانه في حال السراء والضراء والتكاليف.

ب ـ ومنهم الضعيف المفرط العاصي.

٢ ـ ومن العباد الكافر والجاحد لنعم الله، والمتبرم بقضائه، وما يترتب على مواقف كل فريق مما يستحق من النتائج التي سنها الله تعالى، وهي سنن وأحكام لاتتخلف: **«فلن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا»** «٤٣ فاطر».

وسنستعرض هنا هذه الآيات موزعة بقدر الإمكان على حسب مضامينها ومحتواها، ومرتبة حسب أنواع الفتنة وحكمتها ونتائجها:

* وتطالعنا هذه السنة مرافقة للإنسان منذ نشأته، فنجد قول الله تعالى: **«إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه، فجعلناه سميعا بصيرا»«٢» «إنا هديناه السبيل إما شاكرا، وإما كفورا»** (٢، ٣ الإنسان) والإبتلاء كما نعلم هو الإختبار، فنبتليه أي نختبره، ومن فضل الله على الإنسان أن بعث له الرسل بمنهج الهداية، ومنحه العقل المميز فهو باختباره «إما شاكرا وإما كفورا».

* وفي سورة الملك آنات تتضافر مع هذه الآيات في إبراز هذا المعنى، فتبين ان الحياة الدنيا دار الابتلاء واختبار، وفي الموت كذلك عبرة واختبار.

«تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير «١» الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أبكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور «٢» (الملك ١، ٢).

أنواع الإبتلاء

*** الإبتلاء بالخير، والشر.**

والإبتلاء لايكون بأنواع الضر والشر فقط، ولكن أنواع الخيرات أشد فتنة من أنواع المصائب فهما نوعان من أنواع الابتلاء. «ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون» «٣٥ الأنبياء».

ولقد بينت آيات كثيرة حكمة الله تعالى في كل نوع من أنواع الابتلاء، منها ماسبقت الإشارة إليه، ومنها ماتضمنته هذه الآية الكريمة: **«ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم»** (٣١محمد).

*** الابتلاء بأنواع الخير والنعيم في الدنيا.**

أ ـ **«ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم..»**المائدة.

ب ـ قال تعالى: في الأموال وزينة الحياة الدنيا **«إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا»** (٧ الكهف).

ج ـ وقال تعالى: في الحياة والسلطان **«ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم..»**(١٦٥ الأنعام).

د ـ وقال تعالى: في قصة سليمان حينما أتاه جنوده بعرش بلقيس ملكة سبأ في لمح البصر من اليمن إلى الشام. **«فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم»** (٤٠ النمل).

أما موقف المؤمنين أصحاب رسول الله ﷺ فقد أشارت إليه الآية الكريمة **«لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا«٢١» ولما رأى المؤمنون ألإاب قالوا هذا ماوعدنا الله**

ورسوله. وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما «٢٢» من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا» «٢٣».

فماذا كانت النتيجة؟ فلنتابع الآيات «**ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما «٢٤» ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويا عزيزا «٢٥» وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا «٢٦» وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً» «٢٧»** .سورة الأحزاب.

ابتلاء الكافرين بالحسنات والسيئات.

وقد يبتلي الله الكافرين بشيء من الحسنات أو شيء من السيئات يفتح أمامهم الفرصة للإعتبار والباب للهداية وإتباع الدين الحق: «**وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون» ١٦٨ الأعراف.**

ويأتي الإبتلاء بالشر عقوبة للكافرين والعصاة. قال تعالى حكاية لحال بعض بني اسرائيل: «**فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون»** ١٦٢ الأعراف. وما ينطبق على هؤلاء ينطبق على كل ظالم وقد عاصرنا أمثلة لبغاة أهلكم بصورة جعلتهم عبرة ومثلا.

النوع الثالث من أنواع الابتلاء:

الإبتلاء بالتكاليف، فمنذ خلق أدم عليه السلام إلى محمد ﷺ وتكاليف الله إلى عباده يتضمنها الوحي المنزل على رسله، وهذه التكاليف حق لله على عباده، شكرا له على نعمه «**وان تعدوه نعمة الله لا تحصوها»**

وأوامر الله ونواهيه لانبيائه وأتباعهم لايستوعبها مقال، ولذا فنشير منها إلى أمثلة، فمن ابتلاءات ابراهيم عليه السلام: قال تعالى: **«وإذ إبتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمن، قال إني جاعلك للناس أماما، قال ومن ذريتي، قال لاينال عهدي الظالمين»** .١٢٤ البقرة.

وقال تعالى: **«... رب هب لي من الصالحين «١٠٠» فبشرناه بغلام حليم «١٠١» فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام إني أذبحك فأنظر ماذا ترى قال يا أبت أفعل ماتؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين «١٠٢» فلما أسلما وتله للجبين «١٠٣» وناديناه ان بابراهيم «١٠٤» قد صدقت الرؤيا أنا كذلك نجزي المحسنين «١٠٥» إن هذا لهو البلاء المبين «١٠٦» وفديناه بذبح عظيم «١٠٧» وتركنا عليه في الآخرين «١٠٨» سلام على ابراهيم «١٠٩» كذلك نجزي المحسنين «١١٠»**. «سورة الصفات».

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المخلصين.

هذه صورة من نعم الله على عباده، وهي وغيرها إختبار لهم، منهم من يعرف نعمة الله عليه فيشكره قولا وعملا فيؤدي حقها عليه، ومنهم من تلهيه عن ذكر الله وشكره ومنهم من يجحد النعمة، ويجحد المنعم، وكل منهم يستحق ما تضمنته سنة الله من جزاء للشاكرين، وعقوبة للعاقين إن عاجلا وإن آجلا، وإن معا: عاجلا في الزمان أو في الدنيا مطلقا، وآجلا على طول عمره أو في الآخرة وقد تكون العقوبات عاجلا في حياته بالدنيا وآجلا بالآخرة عذاب أليم.

قال تعالى مصورا هذه السنة التي لاتتخلف، ومذكرة للغافلين والكافرين، والجاحدين ومرغبا في الشكر، ومبشرا للشاكرين: **«لئن شكرتم لأزيدنكم، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد»**«٧ ابراهيم».

وفيما سبق حكاية عن سليمان: **«.. ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم»**.

ومن أمثلة العقوبة الدنيونية التي تعتبر من سنن الله في الجاحدين لحق النعمة، والمعطلين لواجب شكرها، ماتضمنته آيات سورة القلم عن أصحاب الجنة فكان الشعراء «البستان» الذي ورثه ثلاثة من الأولاد كان أبوهم رجلا صالحا، كان يخرج زكاة بستانه، ويكرم الفقراء، فكانوا يأتونه في موسم جمع الثمار فيعطيهم من أطيبها ويغدق لهم العطية، وكان ذلك يغيظ بعض أبنائه، فلما مات الرجل، اتفق أكثر ابنائه على حرمان الفقراء، من نصيبهم الذي كان يعطيهم أبوهم، وتآمروا على أن يجمعوا التمر قبل موعد حضور الفقراء، فجزاهم الله بصاعقة اهلكت البستان وقضت على شجره، وضرب الله هذه القصة مثلا لمن يمنعون الخير الذي وهبهم الله عن عباد الله الذين يستحقونه، والذين كانوا يحصلون عليه، وقد نزلت في أهل مكة الذين بعث الله لهم محمدا بالهدى ودين الحق فحاربوه وحجبوه عن الناس. قال تعالى: «**إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصر منها مصبحين «١٧» ولايستثنون «١٨» فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون«١٩» فأصبت كالصريم**»«٢٠»«١٠ - ٣٣القلم».

ومن صور الابتلاء بالشر والمصائب

يقول تعالى: «**لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا، وأن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور**»١٨٦ آل عمران.

وقال تعالى: «**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات**» .١٥٥ البقرة.

ولقد سجل القرآن الكريم صورة لحال المسلمين وأعدائهم في غزو الأحزاب نلتقط منها صورة احاطة الأعداء بالمسلمين من قوله تعالى: «**اذا جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم، واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون«١٠» هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا**

«١١» واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا«١٢»»..

وفي هاتين الصورتين مواقف كشفت عن نجاحهم في الاختبار مما ترتب عليه الجزاء الذي يستحقونه ففي الصورة الأولى: صورة الابتلاء في الاموال والانفس ـ الخ ـ ظهر في الآية الأولى أن الصبر والتقوى من عزم الأمور ثم تأتي تكملة الآية الثانية «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات» وتختتم الآية بالبشارة «وبشر الصابرين» ثم تبين الآية التالية موقفهم «**الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا اليه راجعون**» فماذا يكون جزاؤهم ومنزلتهم: «**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**» ١٥٥ ـ ١٥٧ البقرة.

أهم المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.

٣ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ إعداد ونشر مجمع اللغة العربية ـ القاهرة.

٤ ـ تفسير ـ صفوه البيان لمعاني القرآن ـ تأليف الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصري ـ السابق ـ وعضو جماعة كبار العلماء ـ ط الثالثة ـ طبع ونشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م.

٥ ـ تفسير زبدة التفسير ـ من تفسير فتح القدير للشوكاني ـ إعداد د. محمد سليمان ـ عبد الله الأشقر، الطبعة الأولى ـ طبع ونشر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ـ بالكويت سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥.

٦ ـ تفسير ابن جزي الكلبي ـ المسمى ـ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل. تأليف: الحافظ محمد بن أحمد بن جزي الكليبي ـ الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ و١٩٧٣م، نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٧ ـ أربع بحوث نشرت للمؤلف بجريدة آفاق الجامعة ـ صفحة آفاق اسلامية:

١ ـ بعنوان محنة ومنحة بتاريخ ١٩٩١/٩/٢٨.

٢ ـ من سنن الله في المجتمعات (الفنية) بتاريخ ١٢، ١٩، ١٠/٢٦/ ١٩٩١.

٨ ـ المعجم الوسيط ـ تأليف وإعداد د. ابراهيم أنيس ـ وآخرين ـ طبع ونشر مجمع اللغة العربية ـ بالقاهرة ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ و١٩٧٢م.

٩ ـ ترتيب القاموس ـ على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة: ت الطاهر محمد الزاوي، الطبعة الثانية عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م ـ نشر دار الكتب العلمية بيروت.

١٠ ـ لسان العرب لابن منظور المصري ـ نشر دار صادر ببيروت غير محدد رقم وسنة الطبع والنشر.

١١ ـ شبه الجزيرة العربية ـ كياناتها السياسية ـ تأليف د/ زاهية قدورة نشر ـ دار النهضة العربية ـ بيروزت.

١٢ ـ الكويت وجودا وحدودا ـ اعداد ونشر ـ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي اعداد ـ أ . مفيد شهاب وآخرين ـ الطبعة الثانية ١٩٩١م.

١٣ ـ ترسيم الحدود الكويتية العراقية ـ الحق التاريخي والإدارة الدولية إعداد لجنة من المختصين ـ المركز الوطني لوثائق العدوان العراقي على الكويت الطبعة الأولى عام ١٩٩٢.

١٤ ـ موسوعة حرب الكويت ـ من الاحتلال للتحرير تأليف / عبد العزيز يوسف الأحمد الطبعة الأولى بالكويت ـ عام ١٩٩٢ نشر المؤلف.

١٥ ـ العبث بالاسلام في أزمة الخليج ـ تأليف ـ د. محمد سليم العوا.

تقديم: أحمد رائف. طبع ونشر: الزهراء للاعلام العربي ـ القاهرة، عام ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٦ ـ مؤامرة القرن ٢١ ـ دور السعودية في استدعاء القوات الاجنبية تأليف: محمد الطويل ـ ط ونشر الزهراء للاعلام العربي ـ القاهرة عام ١٤١١ هـ ١٩٩٠م.

١٧ ـ محنة الكويت ـ دروس وعبر إعداد ـ لجنة التوجيه والارشاد بجمعية الاصلاح الاجتماعي ـ بالكويت ـ الطبعة الأولى ـ عام ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

آداب الإسلام وأخلاقياتـــــه

فـــــي

حالـــــتي الســــلم والحرب

دكتور / لاشين محمد يونس الغياتي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيد الخلق أجمعين والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾

السادة الحضور الإخوة الأفاضل الأساتذة الأجلاء الزملاء الأعزاء سلام الله عليكم ورحمته وبركاته   وبعد

فإنه يطيب لي في هذه الليلة المباركة من شهر شعبان أن أعرض على حضراتكم أهَمَّ آداب الإسلام وأخلاقياته في حالتي السلم والحرب.

والذي دفعني للكلام في هذا الموضوع عدة أمور:

أولا : مشاركتي في هذه الندوة [الاحتلال العراقي لدولة الكويت من منظور الشريعة الإسلامية] والتي تُقيمها كُلِّيةُ الشريعة والدراسات الإسلامية ـ بجامعة الكويت بمناسبة احتفال دولة الكويت بذكرى التحرير والعيد الوطني تحت رعاية سعادة الأستاذ الدكتور / وزير التعليم العالي...

ثانيا: ما حدث في غزو العراق للكويت من انتهاكات لكل ما حرمه الله على عباده، ومن أعمال وحشية منافية للآداب والأخلاق الإسلامية. فقد انتهك حرمة الأخوة في الإسلام وحرمة الجوار وحرمة الأشهر الحرم وقام بسفك الدماء وهتك الأعراض ونهب الأموال وقتل وتعذيب المواطنين الأبرياء، والتمثيل بالقتلى والجرحى، وقتل كثير من

الشباب والنساء والأطفال والشيوخ والمرضى مستعملاً الأساليب البربرية والوحشية للتعذيب والقتل الجماعي والأعمال اللاإنسانية التي لا تصدر إلا عن قلوب متحجرة لا تَعرفُ الرحمة.

قام بالتخريب والتدمير وإتلاف المنشآت والمؤسسات العلمية والتعليمية وهدم المنازل السكنية الآمنة والمدارس والمستشفيات وحرق آبار النفط والإضرار بالبيئة برا وبحرا وجوا بل قام بأسر الأبرياء المدنيين وحجزهم في سجونه بسبب حبهم لوطنهم والدفاع عنه.

وغير ذلك من الأساليب والأعمال التي أساءت للإسلام والمسلمين في جميع بقاع الأرض. حتى أصبحت صورة الإسلام مشوهة ومشبوهة في نظر المجتمعات الدولية المتحضرة بل المسلمون في نظرهم كالوحوش الكاسرة والذئاب المفترسة قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة.

يعيشون كما يعيش السمك في الماء أو كما تعيش الوحوش في البيداء، يأكل كبيرهم صغيرهم وقويهم ضعيفهم.

حيث لا دين يرشد ولا قانون يردع ولا ضمير يؤنب ولا مروءة تعصم الإنسان من ارتكاب الرذائل والمنكرات ـ كما كان الأمر قبل الإسلام.

ثالثـا: نريد أن نبين للعالم كله ـ من كلية الشريعة بجامعة الكويت صاحبة الاختصاص في الحل والحرمة ـ بأن الإسلام بريء من كل التهم التي وجهت إليه. بريء من كل الجرائم والأعمال الوحشية التي ارتكبت في دار الإسلام، بريء ممن تمرد عليه وأعلن عصيانه وخرج عن تعاليمه وآدابه وأخلاقياته السامية.

نريد أن نبين للعالم كله بأن الإسلام هو دين السلام والأمن والأمان لا الحرب والقتال.

دين الأخوة الصادقة والمحبة والمودة والتآلف، دين يدعو إلى حسن الجوار وتقديسه، يدعو إلى الصدق في القول والعمل، يدعو إلى التكافل والتعاون على البر والتقوى وتكريم الإنسان والمحافظة على حقوقه، دين يأمر بالشورى والعدالة والفضيلة في السلم وفي الحرب، دين حرم الغدر والخيانة والكذب والزور ونقض العهود والمواثيق وخرق القوانين والأعراف التي تتفق مع مبادئه وتعاليمه، حرم الاعتداء على حياة الناس وأموالهم وأعراضهم ونهى عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والمرضى في القتال المشروع بل نهى عن التعذيب والتمثيل بالقتلى والجرحى وعن قتل الحيوانات والطيور والإضرار بالبيئة والتخريب والتدمير والفساد في الأرض بجميع أنواعه.

وأستأذن حضراتكم في عرض بعض هذه الآداب والأخلاقيات الإسلامية بصورة موجزة وفقا للوقت المسموح به للمحاضر.

١- الإسلام دين السلام والأمن والأمان:

فالأصل في العلاقات الدولية بين المسلمين بعضهم بعضا أو بينهم وبين غيرهم من الدول الأخرى هو السِّلْم لأن الإسلام الذي جاء هاديا للعالم كله قرر أن الأصل في العلاقة بين الدول كالأصل في العلاقة بين الأفراد والجماعات فالسِّلْم والسَّلْمُ والمسالمة من صميم الإسلام بحسب نصوصه المقدسة وأدلته الشرعية ومقاصده السامية وتعاليمه الحقيقية وتقاليده الثابتة، وأن الحرب وهو كُرْهٌ كُتِبَ لحالات استثنائية دفاعاً عن الحق والعدل والشرعية ونُصْرَةَ المظلومين وحماية الإسلام والمسلمين خوفاً من وقوع فتنة في الدين. وحماية لحقوق الإنسان وكرامته.

والإسلام الذي دعا إلى السلام لا يرضى ولا يقبل الاستسلام للباطل والخضوع إليه لأنه يحترمُ حَقَّ كُلِّ دولةٍ في الوجودِ وحَقَّها في الدفاع عن نفسها وعن أراضيها وسيادتها وشرعيتها أيا كانت الدولة. فالمبدأ واحد لا يتغير هو عدم التدخل

في شؤون الدولة إلا في نطاق الشرعية وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف وهذا هو ما ذهب إليه جمهورُ الفقهاء القدامى والمعاصرين واستدلو بقوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السَّلم كافة ولا تتّبعُوا خُطُوَات الشيطان إنه لكم عَدُوٌّ مبين. فإن زَلَلْتُم مِنْ بَعدِ ما جاءتكم البينات فاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عزيزٌ حكيم**﴾ سورة البقرة ٢٠٨. وقوله تعالى ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا للسَّلْم فاجْنَحْ لَهَا وتوكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ العَلِيمُ**﴾ سورة الأنفال الآية ٦١.

وقوله تعالى ﴿**فإن اعْتَزَلوكُم فلم يُقَاتِلُوكُم وأَلْقَوْا إليكم السَّلَمَ فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**﴾ سورة النساء ٩٠.

وقوله تعالى: ﴿**ولا تقولوا لمن أَلْقَى إليكم السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة..**﴾ سورة ٩٤.

واستدلوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «يا أيها الناس لا تمنَّوْا لِقاءَ العَدُوِّ وسلوا الله العافية».

وفي رواية أخرى «لا تَمَنَّوا لقاء العدُوِّ فإذا لَقِيتُمُوهم فاصبِرُوا».

فهذه أدلة واضحة على أن الأصل في العَلاقات الدولية بين الدول بعضها مع بعض هو السَّلم والسلام الشامل القائم على الحق والعدل. فالسلام من أعظم مبادىء الإسلام التي توفر للإنسانية جمعاء نعمة الأمن والأمان والطمأنينة والسكينة، وبدونه لا أمن ولا أمان ولا استقرار في الحياة. وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حينا قال:

«إن الله جعل السلامَ تحيةً لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا».

أما النظام العراقي الدموي الخائن فقد أعلن العصيان والتمرد على خالقه وأعلن الحرب على الله ورسوله وعلى الإسلام والمسلمين الآمنين في أوطانهم باغيا

ومعتديا ومرتكبا أبشع الجرائم التي لم يتصورها العقل ولم يشهد التاريخ المعاصر مثلها ـ لا بتلاع دولة مستقلة لها كيانها وسيادتها الكاملة على أرضها وحكومتها الشرعية وشعبها الكريم بمعدنه الطيب الأصيل ولها دستورها وقوانينها وعضويتها في جامعة الدول العربية وفي منظمة المؤتمر الإسلامي وفي هيئة الأمم المتحدة بل ممثلة في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي والأجنبي بسفرائها والممثلين الشرعيين لها.

ورغم ذلك أراد العدو محوَها وطمسَ هويتها لا لشيء إلا حبا في الزعامة الممثلة في شخصه وفي الثراء ووضع يده على المنطقة كلها ومقدراتها حَتَّى يتحكم في العالم كله شرقاً وغرباً ضارباً بآداب الإسلام وأخلاقياته عرض الحائط منتهكاً حرمات الله ومقدساته معتديا على الكليات الخمس الدين والعقل والنفس والمال والعرض، ومن هنا كان الدفاع أمراً حتمياً وضرورياً لرد هذا العدوان الآثم من الديكتاتور الظالم سفاح العراق الذي يدعي الإسلام، والإسلام منه براء، يدعي النسب الشريف وهو لا نسب ولا شرف ولا دين ولا خلق ولا مروءة عند طاغية العراق.

٢ـ المسلمون إخوة كالجسد الواحد:

من أعظم المبادىء التي وضعها الإسلام لتنظيم علاقة المسلمين بعضهم ببعض الترابط الأخوي في الإسلام وهو أشد وأرقى من ترابط الدم والنسب. قال تعالى ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾ سورة الحجرات. الآية ١٠.

وهذه نعمة كبرى من الله لعباده يذكرهم بها فيقول تعالى ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا..**﴾ سورة آل عمران ١٠٣.

وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم على مبدأ أخوة الإسلام ونهى عن انتهاكه بالحقد والحسد والبغض والكراهية والظلم والعدوان والخذلان بترك نصرته المشروعة وخاصة عند الضرورة والحاجة إليها.

روي عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ على بَيْع بعض وكونوا عباد الله إخواناً. المسْلمُ أخو المُسلم: لا يَظْلِمهُ ولا يَخْذُلُهُ ولا يَكْذِبُهُ ولا يَحْقِرُهُ. التَّقْوى هَهُنا ـ ويشيرُ إلى صَدْرِه ثلاث مراتٍ. بِحَسْب امْرِىءٍ من الشرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ على المسلمِ حَرامٌ: دمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ». رواه مسلم.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ترى المؤمنين في تراحُمِهم وتَوَادِّهِم وتعاطُفِهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ جَسدِهِ بالسَّهرِ والحمَّى». رواه البخاري.

فتضامن المسلمين المؤمنين الصادقين المخلصين يُعْلي شوكَتهم ويُضَاعِفُ قُوتَهمُ ويرفع مكانتهم ويُرْهِبُ أعداءهم. لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «المؤمنُ للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضُه بعضا».

فالواجب على المسلمين أن يكونوا بعيدين عن التفرق والتمزق والتعصب وحب الذات ونبذ كل ما يؤدي إلى الاختلاف والشقاق بينهم وإشعال الفتنة ونيران الحروب التي تجلب الدمار والخراب والعداوة والكراهية والأحقاد بين أجيال الأمة الواحدة شعارها لا إله إلا الله محمد رسول الله ودستورها القرآن الكريم ـ وخُلقها الإيثار والمحبة والمودة والتراحم والتعاطف والاعتصام بحبل الله المتين وصراطه المستقيم والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه. قال تعالى **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**، وقال: **﴿ومن يعتصِمْ**

بالله فقد هُدِي إلى صراط مستقيم﴾.سورة آل عمران ١٠١، ١٠٣ .

إلا أنه من العجب أن نرى فريقاً من الأمة العربية والإسلامية يقف مع الظالم لبطشه وقوته ووعده ووعيده فهؤلاء هم الإمَّعَةُ الذين يقولون إن أحسن فلانٌ أحْسَنَّا وإن أساء أسَأْنَا دون تدبر وتفكر وبعد نظر فيما يعود على الأمة وشعوبها من آثار سيئة لا يعلم مداها إلا الله. ألم يسمعوا قول الله تعالى: **﴿كنتم خيرَ أمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر..﴾** آل عمران. ألم يسمعوا قوْل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يا رسول الله هذا نَنْصُرُهُ مظلوماً فكيف نَنْصُره ظالماً؟؟؟ قال: تأخذ فوق يديه». رواه البخارى.

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم «من رأى منكم منكرا فَلْيُغَيِّرْه بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».رواه مسلم

وكان هذا هو موقفُ علماء بغدادَ الذين أيدوه وناصروه ولم يستطع أحدٌ منهم أن يقولَ كلمةَ حقّ عند هذا الحاكم الجائر ولم يَخْشَوْا في الله لومة لائم.

ألم يسمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أعان ظالِماً سَلَّطَهُ الله عليه». وقوله صلى الله عليه وسلم «إن النَّاسَ إذا ما رَأوْا الظَّالِمَ فلم يأخذوا على يديه أَوْشَكَ أن يعمَّهُمَا اللهُ بعقابٍ من عنده».

وقوله صلى الله عليه وسلم «أفضلُ الجهاد كلمةُ حقٍّ عندَ سلطانٍ جائرٍ».

وصدق الله تعالى حين قال **﴿ولْتكُن منكم أمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخير ويَأمُرونَ بالمعروف وينهَوْن عن المنكر..﴾**..الخ الآيتان آل عمران ١٠٤، ١٠٥. ويقول تعالى **﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان دَاوُدَ وعيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذلك بما عَصَوْا وكانوا يَعْتَدُون. كانوا لا يتناهَوْن عن مُنْكَرٍ فعلُوه لَبِئْسَ ما كانوا يَفْعَلُون﴾** المائدة ٧٨، ٧٩.

٣ ـ حسن الجوار:

من الآداب والأخلاقيات الإسلامية (حسن الجوار) باحترام حقوقه ورعايته وحفظ حرمته وعدم إيذائه بأي نوع من أنواع الأذى حتى ولوكان قليلاً لما لذلك من حرمة كبيرة وإثم عظيم. فحسن الجوار أمر واجب شرعاً بين الأفراد والجماعات والدول.

فالدول لا تسعد ولا تأمن ولا تطمئن ولا تتقدم ولا تعلو وترقى إلا بحسن الجوار في نطاق الإسلام الذي اهتم به وحث على احترامه برعاية حق الجار وإحسان معاملته والبعد عن كل ما يؤذيه ويسيؤه أياكان حجمه قال تعالى: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورا**﴾. سورة النساء ٣٦.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم يؤكد هذا الحق ويَنْفِي الإيمان عمن يؤذي جاره بالقول أو بالفعل فيقول في سنته الشريفة «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيُوَرِّثُهُ». ويقول «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن. قيل: من يا رسول الله قال: من لا يأمن جارُه بوائقه» أي غوائله وشروره. أخرجها البخاري.

ويقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»رواه البخاري.

ويقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره».رواه البخاري.

وقال أحمد: «الجيران ثلاثة: جار له حق وهو الذمي الأجنبي له حق الجوار، وجار له حقان: وهو المسلم الأجنبي له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق: وهو المسلم القريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة».

ودولة الكويت الجارة المسلمة الشقيقة الوفية التي وقفت بجوار شعب العراق وقت الشدائد والحروب وأعطته الكثير لها حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة وحق الوفاء على الشعب العراقي المغلوب على أمره الذي لا حول له ولا قوة، إلا أن سفاح العراق وزبانيته قد انتهكوا حرمة الجوار بكل معانيها وحرمة الإسلام وحرمة القرابة وحرمة الإنسان وحقوقه وضربوا بها عرض الحائط متعالين متكبرين آبين لتعاليم الإسلام متجاوزين حدود الله **﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾**، **﴿ومن يَعْصِ اللهِ ورسولَه ويتعدَّ حدُودَهُ يُدخِلْه ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مُهين﴾** سورة النساء ١٤.

وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال «أَتَدْرُونَ ما حقُّ الجار؟ إن استعان بك أعنتهُ وإنْ استنصرَكَ نَصرْتَه، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر جُدّت عليه، وإن مرض عُدته، وإن مات تَبعَت جنازته وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبةٌ عزيته»...الخ.

فالكويت قد أعانته ونصرته وأقرضته وجادت عليه بالكثير عندماأصابه الفقر والمرضُ، وشاركته في السراء والضراء وكانت لشعب العراق نعم العون والنصير، نعم الوفاء والإخلاص في وقت الشدة والحرب الطاحنة التي دامت ثماني سنوات ظلماً وعدواناً وزوراً وبهتاناً، لكن بقي لحاكم العراق شيءٌ واحد عزاؤهُ في مصيبته وتشييعُ جنازته وأعوانه الصغارُ الأذلاءُ إلى جهنم وبئس المصير.

وهل جزاء الكويت وما قدمته من حسن الجوار غزوها واحتلالها؟؟

هل هذا جَزاءَ المعروف والإحسان؟.

وصدق الله القائل **﴿هَلْ جزاءُ الإحسانِ إلاَّ الإحسانُ﴾** الرحمن ٦٠ .

ولو أخذ النظامُ العراقي المهزوم بحسن الجوار لما وقع في هذه المحنة والكارثة التي يئن منها الآن لعدم امتثاله لأوامر الله عز وجل والخروج عن طَاعته فكان جزاؤه الدَّمار والخراب والذُّل والهوان..

إنه أسوأُ جار عرَفَهُ التاريخُ الإسلامي والعربي إنه الجار الملعون المجرمُ بالميلاد أو الاعتياد الذي يجب إعدامُه حتى يستريح المجتمعُ الدوليُ منه لأنه أجرم في حق شعبه ورعيَّته والأمة الإسلامية والعربية بل في حق العالم كله شرقاً وغرباً بجريمته النكراء وفضيحته الشنعاء واعتداءاته الآثمة على جيرانه الأشقاء.

فعليه وعلى زبانيته وأعوانه ومن ناصروه وأيدوه ووقفوا بجانبه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

٤ ـ أمرهم شورى بينهم:

ذهب جمهور العلماء إلى أن الشورى مشروعة في كل أمور الدولة وجميع شؤون الحياة.

واستدلوا على ذلك بأن الله أمر رسوله بها لما فيها من الخير والنفع للأمة الإسلامية في جميع شؤونها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وتنظيم العلاقات بين الدول في السلم والحرب.

قال تعالى **﴿وأمرهم شورى بينهم﴾** الشورى ٣٨، **﴿وشاورهم في الأمر﴾**. آل عمران ١٥٩ .

وأكدت السنة النبوية على أهمية الشورى وأثرها على الأمة الإسلامية حيث قال صلى الله عليه وسلم: «ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم». رواه البخارى.

وقال صلى الله عليه وسلم «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عا
من اقتصد».

وقال أبو هريرة رضي الله عنه «ما رأيتُ أحداً أكثرَ مشورةً من رسول الل
صلى الله عليه وسلم».

فالمشورة حصن من الندامة وأمان من الملامة، لأن من استغنى برأيه ضَ
ومن اكتفى بعقله زلَّ، والخطأ مع الاسترشاد أحمدُ من الصواب مع الاستبداد.

ولو أخذنا بمبدأ الشورى على حقيقته وأطعنا الله ورسوله ما وقعت هذ
الكارثة التي شطرت الأمة العربية والإسلامية بسبب النظام العراقي المستبد برأي
الديكتاتور المتوحش المتصرف في مصير دولة وهلاك شعبها من تلقاء نفسه دو
مشورة من أحد.

فسياسة حاكم العراق استبدادية محضة، والاستبداد بالرأي آفة خطير
تعاني منها أمتنا العربية والإسلامية، فتهدد كيانها وأمنها وتفتت وحدتها وتضعف
قوتها حتى تكون غثاء كغثاء السيل يطمع فيها الطامعون وينال منها الحاقدو
والحاسدون. بل من هموم الوطن العربي والإسلامي همّ الاستبداد السياسي لفئة
معينة بالحكم رغم أنوف شعوبها فلا همّ لهم إلا قهرُها وإذلالُها وضياعها والقضاء
على ثرواتها ومقدراتها والثراء على حسابها وجَلبُ الفقر والعار لها... وبهذا
تضطرب الحياة وتختل الموازين وتقرب الأمة من ساعة الهلاك كما بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سنته الشريفة فقال:

«إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل وكيف إضاعتها قال: إذا وُسِّد الأمرُ
إلى غير أهله فانتظر الساعة». رواه مسلم.

٥ ـ الصدق في المعاملة:

من آداب الإسلام الصدق في القول والعمل وهو من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلمون جيمعا فرادي وجماعات وحكاما ومحكومين حتى تكون علاقات الناس والدول مبنية على أساس من الصفاء والنقاء فلا يشوبها شيء من زيف أو خداع.

لذلك أمرنا الله أن نتحلى بالصدق: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾** التوبة ١١٩.

وحث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا..».

ثم نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الكذب وقول الزور فقال «وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا».

بل جعل الكذب خصلة من خصال المنافقين فقال صلى الله عليه وسلم «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان». وفي رواية أخرى «إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر». رواه البخارى.

أما النظام العراقي فقد اتصف بالكذب وقول الزور والغدر والخيانة والفجور لادعاءاته وافتراءاته المختلفة.

١ ـ فقد ادعى طاغية العراق أن له حقاً تاريخياً في الكويت وهي جزء من العراق.

٢ ـ ادعى أنه جاء إلى الكويت بناء على رغبة أهلها لمساندتهم في تغيير نظام الحكم.

٣ ـ قام بتشكيل حكومة مؤقتة مزيفة ومزورة ثم طلبت الوحدة مع العراق حتى صارت المحافظة التاسعة عشر.

٤ ـ ضلل شعبه وجيشه حينما قال لهم إننا ذاهبون لمحاربة إسرائيل لإنقاذ القدس وتحرير فلسطين ثم ضلوا الطريق لأن الغزو كان ليلا.

٥ ـ ادعى بأن الهدف من الغزو هو تقسيم الثروات وتوزيعها على الشعوب الفقيرة لإقامة التوازن والعدل بين الناس.

٦ ـ ادعى النظام الفاشل بأنه يدعو إلى السلام والعدل والمبادىء والقيم الإنسانية والمحافظة على حقوق الإنسان وكرامته.

وكل هذا كذب وافتراء وزور وصدق الله إذ يقول ﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**﴾، ويقول سبحانه وتعالى ﴿**يوم ترى الذي كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمكذبين**﴾ .الزمر ٦٠

٦ـ احترام حق الحياة وصيانة الأعراض والأموال

لقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بحق الحياة وصيانة الأعراض والأموال وبين خطورة الاعتداء عليها بسن العقوبات الرادعة والزاجرة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

فقد أجمع الفقهاء على تحريم القتل بغير حق وأنه من الكبائر بعد الكفر، واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع.

١ ـ قال تعالى: ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما**﴾ سورة النساء ٩٣ .

٢ ـ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»، رواه مسلم وقال «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله عز وجل مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله».

٣ ـ وأجمع فقهاء الأمة الإسلامية على حرمة قتل النفس بغير حق، وصيانتها من ضرورات الدين. رواه أحمد وابن ماجة.

كما اهتم الإسلام بصيانة الأعراض والمحافظة عليها منعا من اختلاط الأنساب وانتشار الفاحشة والرذيلة، وحفاظاً على المجتمع الإسلامي من الهدم والفساد. فحرم انتهاكها والاعتداء عليها بالزنا أو القذف وسن لكل جريمة عقوبتها المحددة لها شرعاً وجعلها من جرائم الحدود التي لا تقبل الشفاعة أو العفو أو الإسقاط أو الصلح عليها بمال لمالها من آثار سيئة على المجتمع.

قال تعالى: ﴿**ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا**﴾ .الإسراء ٣٢ .

وقال تعالى: ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون**﴾ .النور ٤ .

فهذا دليل على احترام الإسلام لحق الإنسان في شرفه وسمعته وصيانة عرضه.

كما أمر الإسلام بصيانة الأموال وحرم الاعتداء عليها بالسرقة والنهب والاستيلاء عليها بالقوة حفاظاً على ملكية الأشخاص لها وضع العقوبات الصادمة في ذلك في آيتي السرقة والحرابة.

ويؤيد هذه الحرمة قول الرسول صلى الله عليه وسلم «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا... ألا هل بلغت اللهم فاشهد». رواه مسلم.

٧ ـ إعلان الحرب على العدو:

من آداب الإسلام وأخلاقياته إعلان الحرب على العدو قبل القتال فلا يجوز لنا أن نهاجمه ونأخذه على غرة لأن الحرب في الإسلام ما هي إلا ضرورة اجتماعية لنصرة الحق والعدل ودحض الظلم والباطل.

فإعلان الحرب على العدو أيا كان مسلما أو غير مسلم أمر حتمي وضروري لأن الشريعة حرمت المباغته بالهجوم والغدر والخيانة وخاصة إذا كانت هناك عهود ومواثيق واتفاقيات بين الدول بعضها مع بعض ولذلك يقول الله تعالى ﴿**وإما تخافن من قوم خيانة** ـ أي غشا ونقضا وغدرا للعهد ـ **فانبذ إليهم على سواء**﴾ أي أعلمهم بنقض عهدهم حتى تصير أنت وهم سواء في العلم.

فالغدر حرام ومنهي عنه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل غادر لواءٌ يومَ القيامة ولا غادر أعظمُ غدراً من أمير عامة». الشوكاني ٨ / ٤ .

لأنَّ ضرر غدره ليس مقصوراً عليه بل يتعداه إلى غيره من الشعوب. وإذا كان الإسلام قد وضع لنا هذه القاعدة في القانون الدولي الإسلامي التي تعتبر مفخرة وإكباراً للمسلمين على مر الأجيال. فإن القانون الدَّوْلي المعاصر لم يهتد إليها إلا في أوائل القرن العشرين حينما انعقد مؤتمر لاهاي ١٩٠٧م ونص فيه (على أنه: يجب ألا تبدأ الحرب إلا بعد إخطار سابق وواضح لا غموض فيه في صورة إعلان للحرب مع ذكر الأسباب أو في صورة إنذار نهائي يوضح فيه اعتبار الحرب قائمة بين الطرفين بعد مهلة محددة إذا لم تُجب الدولة التي وجه إليها الإنذار بقبول طلبات الدولة التي وجهته).

أما النظام العراقي فقد ارتكب أشنع وأبشع جريمة غدر وخيانة في التاريخ المعاصر لأنه قد غدر بجيرانه وخان المعاهدات والمواثيق والاتفاقيات بين الدولتين وخرق كل القوانين والأعراف الدولية وأخلف وعده وعهده الذي أخذه

على نفسه بعدم الحرب للكويت لإخوته الأشقاء من الملوك والأمراء والرؤساء العرب ثم فاجأهم بالغزو ليلا وهم آمنون مطمئنون مسالمون وفي شهر من الأشهر الحرم دون إنذار أو إعلان سابق للحرب فحفر قبره بيده ثم وقع فيه ﴿**إن ربك لبلمرصاد**﴾. الفجر ١٤ .

٨ ـ عدم جواز قتل النساء والأطفال والشيوخ والمرضى والجرحى والأقارب:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجوز قتل النساء والصبيان والشيوخ والمرضى والجرحى والأقارب وغيرهم مما لا دور له ولا نشاط له في القتال.

واستدلوا على ذلك بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن امرأة وُجِدت في بعض مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم مقتولةً فنهى عن قتل النساء والصبيان». معللا وقائلا «ما كانت هَذه لِتُقاتِل».رواه البخارى.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا إمرأة».رواه أبو داود.

وروي عن أبي بكر وعمر وابن عباس رضى الله عنهم في معنى قوله تعالى ﴿**ولا تعتدوا**﴾ أي ﴿**لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير**﴾.

وأيضاً لا يجوز قتل المريض ولا الجريح ولا رسول الكفار ولا غيرهم مما لا دور له ولا نشاط له في القتال.

ومن سمو التعاليم الإسلامية في الحرب عدم قتل القريب لأن فيه نوعاً من قطع الرحم ، فيرى الحنفية أنه لا يحل للفرع أن يبدأ بقتل أصله المشرك لقوله تعالى ﴿**وصاحبهما في الدنيا معروفا**﴾. سورة لقمان.

وصرح الشافعية بأنه يكره تنزيها لغاز أن يَقْتُلَ قريبه لأن فيه نوعاً من قطع الرحم، وقتل قريبٍ محرمٍ أشدُّ كراهةً، لأنه صلى الله عليه وسلم منع أبا بكر من قتل ابنه عبدالرحمن يوم أحد إلا إذا سَبَّ الله ورسولَه أو أحدَ أنبيائه، فلا كراهة في قتله تقديما لحق الله تعالى وحق أنبيائه، لأن أبا عبيدة قتل أباه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سمعتُه يَسُبُّك، ولم ينكره عليه فدل ذلك على جوازه.

فهذا هو حكم الإسلام في علاقة المسلم بغير المسلم في حالة الحرب المشروعة.. فما بالكم بعلاقة المسلم بالمسلم وخاصة في قتال غير مشروع.

٩ـ عدم التمثيل بالقتلى والتعذيب للجرحى أو الأسرى:

صرح جمهور الفقهاء بأن الإسلام حرم في القتال المشروع التمثيل بالقتلى والجرحى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «لا تَغُلُّوا ولا تَغْدُروا ولا تُمثِّلوا». أخرجه مسلم.

فالمثلة هي العقوبة الشنيعة التي لا رحمة فيها ولا شفقة ولا إنسانية كقطع الجسم إرباً أو حرقه أو قطع الأنف أو الأذن أو الألسن أو سَمْلِ الأعين أو نزع الأظافر أو كسر الأطراف وغيرها من الأعمال الوحشية البربرية التي لا يقرها دين سماوي ولا قانون وضعي.

فالتمسك بالفضيلة أمر مطلوب قبل المعركة وفي المعركة وبعدها خوفا من الانتقام والتشفي من الأعداء عند القدرة عليهم.

ولذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن المثلة وكان يقول دائما «إياكم والمثلة».

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني أنتزع ثنية سُهيل بن عمرو ـ يدلع لسانه ـ فلا يقوم عليك خطيباً

في موطن أبداً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أُمثِّلُ به فَيُمَثِّلُ الله بي وإن كنت نبيا».

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشا من المسلمين إلى المشركين قال: «انطلقوا باسم الله... ولا تَغُورَنَّ عَيْناً ولا تَعْقِرَنَّ شجراً... ولا تُمَثِّلوا بآدمي ولا ببهيمةٍ». رواه البيهقي:

بل أوجب الإسلام دفن جثث الأعداء وعدم تركها للوحوش والطيور لما روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بوضع جثث القتلى من المشركين يوم بدر في القليب وهو بئر جافة. وحفرت الخنادق لقتلى يهود بني قريظة في سوق المدينة لإلقائهم فيها.

ونهى الإسلام عن تعذيب الجرحى والأسرى أو قتلهم احتراماً لإنسانيتهم وآدميتهم ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم «ألا لا يُجْهَزَنَّ على جريح ولا يُتْبَعَنَّ مُدْبِرٌ ولا يُقْتَلَنَّ أسيرٌ». ونهى عن التعذيب بالنار أشد النهي واعتبره اعتداء على حق الألوهية لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «ولا ينبغي أن يُعَذِّبَ بالنار إلا ربُّ النار».

وبهذا ضرب الإسلام والمسلمون الأوائل المثل الأعلى في العدل والرحمة والشفقة حتى مع ألد أعدائهم ويكفينا شرفاً وفخراً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتقم لنفسه ولا لأهله وصحابته من أعداء الإسلام يوم فتح مكة وقال مقولته المشهورة: «ما تظنون أني فاعل بكم اليوم»؟ قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» دون قتل أو أسر أو تمثيل أو تعذيب بل عفا عنهم وأطلق سراحهم.

هذه هي آداب الإسلام في الحروب، أما ما قام به الغزو العراقي من سمل للأعين أو صمل للآذان أو انتزاع للأظافر أو قطع أو كسر للأطراف أو تمثيل وتشويه لجثث القتلى وتركهم في الشوارع والطرقات يدل على الهمجية والبربرية والوحشية

القاسية التي لم يعرفها التاريخ من قبل بل انتزاع البغاة الأطفال الرضع من حضاناتهم وقتل الكثير منهم لأكبر دليل على قسوة قلوبهم وكفرهم بتعاليم الإسلام ومبادئه والخروج على الأعراف والمواثيق العربية والدولية.

١٠ـ عدم التخريب والتدمير وقتل الحيوانات والطيور والإضرار بالبيئة :

من الآداب والأخلاقيات الإسلامية في حالة الحرب بين المسلمين وغيرهم في المعركة وبعدها (عدم التخريب والتدمير للمنشآت المدنية والمؤسسات العلمية والتعليمية وعدم قتل الحيوانات والإضرار بالبيئة براً وبحراً وجواً)، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوصي بذلك المجاهدين في سبيل الله وكذلك الصحابة من بعده. ولأن التخريب والتدمير وقطع الأشجار وحَرقَ الآبار وإهلاك الزروع والثمار وغير ذلك يكون سعياً في الأرض بالفساد وهذا منهي عنه لقوله تعالى :

﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جَهَنَّمُ ولبئس المهاد﴾ .البقرة ٢٠٥، ٢٠٦ .

وعن بَرِيدَةَ أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أمَّرَ أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدرُوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا..الخ». أخرجه مسلم.

وكذلك أوصى أبو بكر يزيدَ بن أبي سفيان عندما بعثه إلى الشام فقال له إني أوصيك بعشر : (لا تَقْتُلَنَّ امرأةً ولا صَبيًّا ولا كبيراً أو هَرِماً ولا تَقْطَعَنَّ شجراً مثمراً ولا

تُخَرِّبَنَّ عامراً، ولا تَعْقِرَنَّ شاة ولا بعيراً إلا لمأكله ولا تَحْرِقَنَّ نَخْلاً ولا تَغْرِقَنَّهُ ولا تَجْبُنْ...). رواه مسلم.

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتل الحيوان صَبْراً. وكذلك الطيور لما روي عن عمرو بن العاص أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال «ما من إنسان يَقْتُلُ عُصْفوراً فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عنها قيل يا رسول الله ما حقّها؟ قال: ذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسَها يَرْمي به».

فالإسلام قد حرم كل هذه الأمور في الحرب بين المسلمين وغيرهم إلا إذا دعت الحاجة أو الضرورة لذلك لكسر شوكة العدو أو النيل منه وإلحاق الغيط به مع عدم الإضرار بمصلحة المسلمين. وبشرط الباعث المشروع للقتال.

أما النظام العراقي الذي هو أشبه في رأينا بقوم (يأجوج ومأجوج) القرن العشرين فقد سعى في الأرض فساداً فأهلك الحرث والنسل والأخضر واليابس، فقام بالتخريب والتدمير والحرق والنهب للمنشآت المدنية والمؤسسات العلمية والتعليمية والخيرية والمستشفيات والمدارس ودور الحضانة والمكتبات العلمية وبحرق آبار النفط والإضرار بالبيئة برا وبحرا وجواً حتى المساجد لم تسلم من تخريبه ومنع المصلين منها وصدق الله إذ يقول **﴿ومَنْ أظلم مِمَّنْ منَع مساجدَ الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ماكان لهم أن يدخلوها إلا خائفين. لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾** ١١٤ البقرة.

١١ـ واجب المسلمين نحو الأسرى:

عرف الماوردي الأسرى بأنهم الرجال المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بهم أحياء.

كما يطلق لفظ الأسير على المسلم الذي ظفر به العدو وعلى الإمام أن يفديه

من بيت المال.

ولم يشهد تاريخ الحروب في العصر الحديث أن قائداً مهزوماً احتفظ بأسرى من أعدائه المدنيين ورفض أن يسلمهم إلى ذويهم إلا في حالة النظام العراقي الظالم.

وإذا كان الغزو باطلا فما يترتب عليه من أسر واحتجاز للمدنيين يكون باطلا ولا يعتد به شرعاً بل يجب إطلاق سراحهم وفكّ قيدهم. فحجز الأسرى الأبرياء في سجون العراق حرب على الإسلام وخروج عن آدابه وتوجيهاته وتشريعاته التي تدعو للمحافظة على حقوق الإنسان واحترام كرامته وإنسانيته.

والعمل على إطلاق سراحهم لا يقع على كاهل الكويت فقط بل هي مسؤولية العالم العربي والإسلامي والمجتمع الدولي وكل القوى المحبة للسلام والعدل والشرعية.

لذلك أجمع علماء المسلمين بأن إطلاق سراح الأسرى والمحتجزين في سجون العراق ظلما وبغياً وعدواناً أمر واجب شرعاً على الأمة العربية والإسلامية لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني». - أي الأسير - ولوجوب نصرة المسلمين بعضهم لبعض مهما بَعُدَت ديارُهم وبلادُهم. فقد اتفق الفقهاء على أن المسلمين إذا استطاعوا استنقاذ المستضعفين أو المأسورين أو المظلومين من إخوانهم المسلمين من أي جهة من جهات الأرض ثم لم يفعلوا فقد باءوا بإثم كبير. لذلك يقول ابن العربي في أحكام القرآن (إذا كان في المسلمين أسراء أو مستضعفون فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة بالبدن بأن لا تبقى منا عين تطرف حتى تخرج إلى استنقاذهم إن كان عدونا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهمٌ من ذلك).

إذا يجب إنقاذ هؤلاء ولو بالقوة حتى يعودوا لوطنهم الحبيب وذويهم

وصدق الله إذ يقول ﴿**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربَّنا أخرِجْنا من هذه القرية الظالم أهلُها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا**﴾ النساء ٧٥.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين ، والسلام عليكم وزحمة الله وبركاته.

أهم التوصيات المقترحة

١ ـ من القواعد الأساسية في التشريع الإسلامي:

مبدأ عدم التدخل في شؤون الدول الأخرى إلا في نطاق الشرعية وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

٢ ـ الإسلام دين السلام والأمن والأمان لا دين الاستسلام والخضوع للباطل.

٣ ـ الأخوة الإسلامية أقوى وأشد من الأخوة النسبية في الشريعة الإسلامية ويشهد لذلك التآخي بين المسلمين في صدر الإسلام.

٤ ـ حسن الجوار بين الدويلات الإسلامية حق مقدس ومصون في نطاق الشرعية الإسلامية لا يجوز المساس به أو الاعتداء عليه. وإذا كان ثمة نزاعات أو صراعات بين هذه الدول ففي مبدأ الشورى بين المسلمين ما يكفي لحلها.

٥ ـ الاستبداد بالرأي وترك المشورة بين المسلمين آفة خطيرة تعاني منها الأمة الإسلامية والعربية، ومن ثم فعلى حكام المسلمين الالتزام بكتاب الله وسنة نبيه في الأخذ بمبدأ الشورى فيما يَعِنُّ لهم من مشاكل وأمور تتعلق بأوطانهم وشعوبهم في حالتي السلم والحرب.

٦ ـ احترام حقوق الإنسان وعدم انتهاكها والاعتداء عليها في حالتي السلم والحرب.

٧ ـ التعاون الإنساني والدولي بين المسلمين وغيرهم حفاظا للسلم والأمن الدوليين. في نطاق تعاليم الشريعة الإسلامية.

٨ ـ أهمية الصدق والعدل سياسيا واقتصاديا وعسكريا وجميع النواحي بين الدول بعضها مع بعض.

٩ ـ ضرورة إعلان الحرب على العدو إذا كان ثمة عدو قبل القتال لأن الإسلام حرم المباغتة والغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق.

١٠ ـ من مبادىء الإسلام عدم جواز قتل النساء والأطفال والشيوخ والمرضى والجرحى والأقارب في حالة القتال المشروع وذلك بمقتضى النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء.

١١ ـ من آداب الإسلام ـ عدم التمثيل بالقتلى والجرحى وعدم تعذيب الأسرى واحتجاز الأبرياء في السجون ظلماً وعدواناً.

١٢ ـ يدعو الإسلام إلى عدم الإضرار بالبيئة براً وبحراً وجواً وعدم التخريب والتدمير وقتل الحيوانات والطيور ونهب وسلب الأموال وحرق الآبار.

لأنه سعي في الأرض بالفساد وهو حرام ومنهي عنه شرعاً.

١٣ ـ من تعاليم الإسلام إنقاذ المستضعفين في الأرض ولعل سَنَامَ هؤلاء المستضعفين: ذلكم المحتجزون والرهائن والأسرى الكويتيون لدى النظام العراقي الغاشم ومن ثم فعلى كل الدول حكومات وشعوب ومؤسسات وهيئات دولية وإسلامية وعربية أن تهب لإنقاذ هؤلاء المستضعفين من براثن هذا العدو بكل السبل سواء كانت إعلامية أو اقتصادية أو عسكرية إذا اقتضى الأمر.

والله ولي التوفيق

الإعلام الإسلامي
بين الواقع والواجب

د. محمد محمود متولي

الإعلام الإسلامي بين الواقع والواجب

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد: فلهذه الندوات الفكرية أهميتها حين تقام في قلاع الفكر، إذ لا يشخص عوامل تخلف وضعف أمتنا الا علماؤها. في جو من المصارحة والمكاشفة وبداية نتساءل:

لماذا حدث العدوان العراقي على الكويت، وما هو المناخ الذي ساعد على حدوثه؟ وهذا يدفعنا إلى تركيز الفكر في حاضر هذه الأمة؛ لأن ما حدث ثمرة من ثمار هذا الحاضر فنحن

أ ـ متفرقون حول الحق مهما قيل عن تجمعنا.

ب ـ متخلفون بمقاييس العلم مهما قيل عن تقدمنا.

جـ ـ عاجزون عن تملك القوة التي تحمي الحق، وهو لا يتقرر إلا بالقوة.

د ـ جانحون إلى التغني بالماضي عاجزون عن صنع الحاضر، وبناء المستقبل.

هـ ـ نحن نعيش عصرا كعصر أفول الدولة العباسية، حين نبتت في قلبها الدويلات وتفشت الشعوبية.

و ـ شعوبنا تخصصت من بين شعوب الدنيا في إفراز الطغاة. وهذا هو أصلح مناخ لظهور المستبدين، حيث لا تقول الشعوب مجتمعة للظالم: ياظالم، فهناك أموال تبدد، وأرواح تزهق وأعراض تستباح، وأسلحة لا توجه إلا إلى صدورنا، وهناك صورة الإسلام وأمته التي تشوه ومع ذلك فإن مواكب الشعراء تترى، وصفوف المداحين تتوالى حين يصدق الجهول الظلوم أنه عالم عادل.

وثانيا: كيف غررت بنا الدعاية العراقية، ولا أقول الإعلام لأن الاعلام يقدم

أخبارا صحيحة، وحقائق ثابتة ومعلومات سليمة؛ بينما تعمل الدعاية على تسميم المناخ الفكري، وإيجاد واقع نظيف من الخارج آسن من الداخل، وأعجب العجب هو انخداع علمائنا ومثقفينا وأدبائنا بهذه الدعاية، ويكفي في إظهار عداوة هذا النظام للإسلام قول قائلهم: آمنت بالبعث ربا لا شريك له وبالعروبة دينا ما له ثان ومفكروا البعث لهم علاقات مكشوفة بالصهيونية والصليبية من أمثال ميشيل عفلق ومنيف الرزاز وقسطنطين زريق، فقولوا لي: أيها السادة: كيف نرجو الخير من الشر؟ والهدى من الضلال، أنسينا إنك لا تجني من الشوك العنب.

لقد نشرت جريدة الأنباء الكويتية ترجمة لكتاب «الدولة الخارجة على القانون» فهل ما جاء به من صفات الرجل كان خافياً على أحد؟ أم اننا غضضنا الطرف عن ماضيه وحاضره فكنا كالمستجير بعمرو عند كربته، فهو كالمستجير من الرمضاء وبالنار، أم أننا أمة لا تعرف الصحيح من الخطأ، غائمة الفكر غائبة الرشد؟.

وثالثاً: لقد تنبه غيرنا إلى حدوث العدوان قبل حدوثه، فمنذ سنة ١٩٨٤ كان هناك فيلم سينمائي يتحدث عن غزو دولة عربية لدولة عربية جارة لها. وربما يكون هذا هو، وتصريحات السفيرة الأمريكية قبل العدوان هو، ما أوحى للمعتدي بالاعتداء، وربما يكون غير ذلك، وربما كان ما كان لشغل الأمة الإسلامية عن نهضة مرتجاة، أو وحدة مبتغاة، وقد نبه كثيرون من المحللين السياسيين إلى أن هذا ليس أول البلاء، بل قد يكون مقدمة له، وقد نبه عاطف الغمري، وسلامة أحمد سلامة، وأنيس منصور إلى الكبسولات التي تصنع في بلاد الكفر ضد الإسلام، والتلميحات لاعاقة الأمة الاسلامية ولعل أحدثها كتاب نيكسون رئيس أمريكا الأسبق الذي يقرر فيه أن القرن الحادي والعشرين هو قرن الصراع بين أمريكا والأمة الإسلامية.

دور الإعلام

مما لا يخفى على أريب ما للثورة التكنولوجية في وسائل الاتصال العام من آثار، فقد نقلت أحداث العالم إلى داخل كل منزل، واخترقت جدار العزلة للإنسان العادي الذي كان لا يبالي بمشاكل العالم، وخلال الشاشة الصغيرة أصبح العالم على سعته جزءاً من عالم الأسرة الصغيرة، وصارت أهم الأخبار تنقل في ثوان عير القارات يراها ويسمعها كل مشاهد ولقد تحولت الكرة الأرضية إلى كرة صغيرة، أو كما يقول: ماكلوهان قرية صغيرة وصارت الطريقة التي تنقل بها الأخبار والأفكار أهم من الأخبار والأفكار، وأضحى للرموز والايماءات، وطريقة العرض أهمية كبرى وصار الإنسان حيوانا يستعمل الرموز.

غسل الأدمغة:

لقد قامت دراسات بين علماء الإعلام عن التأثير اللاشعوري لوسائل الإعلام في عقول الجماهير وسلوكها من أجل قتل المقاومة والعوامل النفسية الراسخة، وإيجاد استجابات شرطية تطوع الإرادة الحرة للإنسان، وتسخرها للغير، وقد استخدم لينين دراسات بافلوف على الكلاب لتطبيقها على الآدميين، ويبدو لي أن نظم الحكم المتسلطة تمارس بواسطة بعض العارفين نمطا من تجارب سابقيهم في مضمار السيطرة على الجماهير، إذ ليس من المعقول أن يسحق نظام من أم رأسه إلى أخمص قدميه، ثم يبقى من يصفق له والحق أنه لا يخفى ما للدعاية والإعلام من آثار في التحول السياسي والاجتماعي وقد كان هتلر يذهب إلى أن الدعاية تحرك الجبال، وتحيل الأبيض إلى أسود، والعكس، وباختصار تصنع المستحيل، أو ما يقرب منه كما يدعون وقد أقام لينين نظامه الباطل الذي ذهب إلى غير رجعة بفضل الدعاية، وإلى الدعاية يرجع الفضل في انتصار هتلر، وفي ذلك يقول لينين: إن الأمر الرئيسي هو التهييج والدعاية في كل طبقات الشعب، ويقول

هتلر: لقد أتاحت لنا الدعاية ان نحتفظ بالقوة، ولسوف تمنحنا الدعاية الوسيلة لغزو العالم وإن نظم الحكم الجائرة تعتمد في تجميل وجهها على طوائف من مرتزقة علماء الدين والسياسيين والعسكريين والأدباء والفنانين، وتحيلهم الى قطيع من المسبحين بحمد النظام ليلا ونهارا فيخلعون كل صفات العبقرية على رمز النظام وأزلامه، وقد لاحظ ألفريد سوفي في كتابه «القوى والرأي» هذه الملاحظة القيمة فقال:

إن أي حكومة من الطراز الفاشي لم تسقط بغير تدخل خارجي؛ لقوة الشرطة،وبفضل الدعاية التي أحيطت بها.. فهي تسمع دبة النملة، وتسجل خطرات القلوب،والدعاية إذا لم تحدث تغييراً فإنها تقدم دعما وتعزيزا ومحافظة على الوضع القائم.

فإذا تعمقنا في عمل الدعاية فإننا نرى أن الإنسان المعاصر يخضع لعملية غسيل مخ منظمة ومدروسة فالإذاعات التي تقيمها بعض الدول الكبرى، لتبث من خلالها إلى غيرها ما تريد تحمل من ثقافتها ومن التوجيه السياسي ما يحاول تشكيل عقلية المستمع، ويجعله يتجه في عواطفه وآرائه وجهة تريدها الدولة صاحبة الإذاعة.

ووراء هذه الإذاعات كوادر متخصصة تعرف كيف تختار ما يذاع، وكيف تصوغه، ومنهم متخصصون في الدعاية، والإعلام الموجه، وهم لا يعتمدون على المحسوبية، أو المراوغة في الوصول إلى وظائفهم، ولكنهم من الصفوة في العلم والذكاء واللباقة، وليسوا من الدراويش وتعتمد الدعاية على قابلية الناس للاستهواء، وبذلك تحول بينهم وبين الاستقلال في الفكر، وتحيلهم إلى آلات صماء عاجزة عن التفكير، وربما دفعتهم لشراء ما لا حاجة لهم به عن طريق تعداد منافعه والاغراءات باقتنائه والتيسيرات في الحصول عليه، فتحدث فيهم لونا من التنويم المغناطيسي، فيغيب وعيهم، حتى تغسل أمخاخهم مع المحاصرة والتكرار وقد

سبق لجوبلر وزير الدعاية الألمانية في عهد هتلر أن قال:

«كرر الأكذوبة مائة مرة، حتى تصبح حقيقة»..

ومكمن الخطورة في هذه الممارسات أنها تسطح الفكر وتتفه الاهتمام، وتجعل الجماهير سجينة أفكار الآخرين، فتفقدهم استقلال الرأي، وحرية التفكير.

إنها غزو جديد، إنها استعمار نفسي، إنها محاولات تخريب جديدة تستخدم فيها الأقمار الصناعية، والتليفزيون والإذاعة، والصحافة، والسينما. في الدعاية لتعليب الوعي وبرمجة الشعوب حسب مخططات يشارك فيها علماء النفس والاجتماع والإعلام والاقتصاد والسياسة، وقد يسرت التقنية هذا الاستعمار الجديد بدون قتال ولا جنود.

نصيب النظام العراقي في هذا المضمار

قد يسأل سائل: وما نصيب النظام العراقي في هذا المجال؟ والجواب قد أشارت إليه صحيفة الأنباء تحت عنوان «غسل الأدمغة وحرب الخليج» للكاتب صلاح المختار. وقد نشرت الانباء ملخصا له في أيام ٢١، ٢٢، ٢٤ من شهر مايو ١٩٨٨. وهذا الملخص للكتاب يوحي بأن لدى النظام من أفلح في دراسة أحدث فروع علم النفس وهو علم النفس السياسي وبذا نهج منهجا مبنيا على المعرفة بأحدث نظريات غسل الأدمغة في العالم الغربي ومن هذا الملخص أسوق ما يلي:

«من أحدث نظريات علم النفس ما يتعلق بغسل الدماغ بشكل عام، وغسل الدماغ الجماعي بشكل خاص، وقد أطلق على هذا الاتجاه مصطلح «علم النفس السياسي» وهو يزاوج بين علم النفس، وعلم السياسة، ويستخدم قواعدهما.

وهناك فرق عمل أمريكية من علماء النفس والسياسيين، ورجال المخابرات وضعت أسس العلم الجديد، وأساليبه المتطورة. وقد أعلن عن ولادته

سنة ١٩٨٥ في جريدة النيويورك تايمز في ملحقها العلمي يوم ٢/٤/ ١٩٨٥.

وهو سلاح دولي جديد يستخدم ضدنا.. ولازال تدريسه حكرا على المؤسسات الخاصة، ولهذا لا يدرسه الا النخبة المنتقاة، وله طابع السرية، وقد يقوم المغسول المخ بأعمال منافية للضمير والعقل والتربية التقليدية وهم يستخدمون العقاقير والايحاء والتكرار حتى يحيلوا الإنسان إلى آلة مطيعة لسيدها، وهكذا رأينا أنه قد كان من العراقيين من درس كيفية قولبة الجماهير لتكون آلة مطيعة لحزب البعث ورموزه، وهي فيما يبدو ذات استعداد لذلك.

المراد من هذه الحرب الخفية:

كل عمل لابد له من غاية، فما غاية هذه الحرب المشنونة على عقولنا؟ وباختصار هي:

١ ـ زرع الحاجة إلى الأشياء في عقولنا ولو كانت ليست ضرورية لنا وهو ما يسمى بالإقناع الخفي، وبذلك يختل نظام الأولويات عندنا.

٢ ـ تمزيق الانسان من الداخل، وتبديد قواه، وشل قدرته على التفكير.

٣ ـ زرع البطء والتراخي وعدم التركيز، فينعدم إحساسنا بالزمن كبعد هام للتحضر.

٤ ـ تسليط الضوء على السلبيات في المجتمعات الإسلامية، وفرض التعتيم على الإيجابيات.

٥ ـ تقدم الصغار ومتوسطي الثقافة على أصحاب الكفاءة، فتبقى قيادة مجتمعاتنا علميا في أيدي من لم تصقلهم التجربة، ولم يصنعهم العلم، وكذلك سياسيا.

وإذا ما استرسلنا مع سيطرة وسائل الإعلام، وذكرنا كيف أن أعداءنا غير

عجلين في أمورهم، ولكنهم واثقون من الوصول إلى هدفهم المرسوم، فإننا سوف نرى: إن الإذاعة مثلا تسللت إلينا، واستحوذت على آذاننا، ثم جاء التليفزيون فاستولى على الأسرة، وأضعف تأثير الأبوين، وربما صار أبا وأما، وصار كلام كارل ماركس عن الدين أفيون الشعب منسوخا بمقولة جديدة «التليفزيون أفيون الشعب» ومما يدل على ذلك انتظار الكبار والصغار للبرامج، وتفريغ الوقت لرؤيتها أو سماعها وخلع ألقاب الست، ويا عظمة على عظمة.. الخ على المغنيات، واستمراء التطويل والمط في السماع والمشاهدة، واستثقال بذل الجهد في أعمال الجد، فصرنا نضني أنفسنا في الفارغ ونضن بإضنائها في الملآن، وقلة الحضور في ندوتنا خير شاهد ولنضرب بعضا من الأمثلة.

عندما يراد الترويج لمشروب ما تؤلف الأغاني لمدح المشروب، ووصف مزاياه ثم نأتي صورة ممتلئة فتوة وجمالا لشاب أو شابة ممسكة بيدها المشروب، ثم يأتي إعلان بمساحة ظهر عمارة بأكملها يشير إلى هذا المشروب، وبسرعة يجد الإنسان نفسه يطلب المشروب ولو لم يكن عطشان، ان هذا هو الاقناع الخفي، وقد يستخدم في الدفع إلى القتل وتغيير المعتقدات والسلوك.. وهو يختلف من غرض لآخر حسب الأهمية، فإذا كان الأمر بسيطاً سُلك للوصول إليه الأسلوب المباشر الصريح.

وهناك الموضوعات التي تستخدم فيها الطرق الملتوية للاقناع، فتتسلل خفية إلى النفوس، وعندما تنشغل بها تبذر البذرة المراد زرعها في العقول والمشاعر دون إحساس بها، ثم يُعاود التسلل مرة فمرة لري تلك البذرة.

ومن النماذج على ذلك ما عرض بإحدى محطات التليفزيون قبل عام ١٩٧٠، فقد عرض مسلسل أمريكي مثير، قليل الحوار، ركز فيه على الصور، وكانت تحت عنوان «دانيل بون» وعدد حلقاته ستون ومائتا حلقة. استمرت خمس سنوات، في كل أسبوع حلقة وتحكي قصة المهاجرين الأوائل لأمريكا، وتتكون

أسرة دانيل منه ومن زوجته وابنه، وكان التركيز شديدا جدا على الابن الذكي المنقذ لأسرته، حتى ليتمنى المشاهدون تقبيله، وفي كل مرة ينقذ أسرته يقولون له:

شكراً انقذت حياتنا. حين يكتبون تاريخ هذه الأمة يجب أن يذكروا اسمك أيها الصغير ... وفي حلقات متباعدة ينادي دانيل ابنه بقوله: يا إزرا شكرا لك وفي حلقة واحدة من الستين ومائتين ينادون الصبي قائلين: شكرا لك ياإزرائيل إنهم لا يتوقعون تغيير شيء عميق الجذور في النفوس في شهر أو شهرين أو عام أو عامين.

إنهم يتوقعون التغيير في عشر سنين، أو عشرين سنة، ولذا فهم يسيرون في بطء وثقة لتتسلل الفكرة المراد زرعها عبر موضوعات مسلية تلهي عما يراد بذره تماما، إنهم كمن يُجري عملية جراحية، ولكن بطريقة تجعل المريض لا يحس بها. ولقد أمكن بهذه الحلقات تجميل صورة اليهودي القبيحة، ونزع العداء للسامية من قلوب المشاهدين. وهذا يدفعنا للحديث عن

أثر الاعلام الغربي على الشعوب الإسلامية

أشرت قبل ذلك إلى أن المراد من هذه الحرب الخفية زرع الحاجة إلى ما لا نريد، وتمزيق الإنسان المسلم من الداخل، وزرع البطء والتراخي في سلوكه، وتسليط الشوء على سلبياته.. الخ. فإذا علمنا أن هذا يمارس من خلال أجهزة اتصال كثيرة وجبارة أدركنا مدى الخطر. ففي أمريكا مثلا يمارس غسيل العقول من خلال:

١٦٠٠ صحيفة صباحية ـ ٥٥٠ صحيفة مسائية ـ ٨٠٠ محطة تليفزيون ـ ٦٧٠٠ محطة إذاعة تجارية ـ ١٠٠٠ جامعة ـ ١٠٠ ألف مكتبة عامة ـ آلاف الجمعيات ـ صناعة سينما تنتج ٢٠٠ فيلم سنويا، وما يوجه منها إلينا يركز على:

١ ـ إخراجنا من عقائدنا وأخلاقنا بمحاولة إفساد التاريخ واللغة والتراث

والزراية بكل ما هو إسلامي، والكلام الآتي للأمريكي «هربرت. شيللر» من كتابه «المتلاعبون بالعقول» يقول:

وهذه الصور تحدد معتقداتنا وسلوكنا ومواقفنا، وتستحدث وعيا زائفا، لا يستوعب بإرادته.. وهي أفكار مموهة مضللة، وتضليل العقول أداة للقهر، وتطويع الجماهير، ومن يمتلكون رأس المال يمتلكون أجهزة الإعلام ولهم دور حاسم في إدارة عملية التضليل لحسابهم، وكلما لم يشعر المضلل بأنه قد ضُلل يكون التضليل ناجحا، وهذا يقتضي واقعا زائفا لا يتوخى الإنصاف والموضوعية ويشجع الجانب العدواني للسلوك، وينكر قبول الطبيعة الإنسانية للتغير ويقدم العنف على أنه شيء محبوب، ويبدد اهتمامات الناس ويحيرهم وأخيرا يزرع السلبية تجاه الأوضاع القائمة ويشيع اليأس من القدرة على التغيير، فينتهي بالجماهير إلى الجبرية.

وليس الإعلام الأمريكي وحده بل يلحق به في المقاصد الإعلام الروسي الذي يصدر ٠٠٠ر٧٠٠ر٣ نسخة يوميا بمعدل ٢٠٥٠٠ كتاب يوميا وعدد الجرائد في الاتحاد السوفييتي ٧٩٣٧ ومجموع النسخ يوميا ١٢٠ مليون وفي العام الواحد ٦٥٥ر٢٦ وعدد المجلات ٤٧٠٤ يصدر منها في كل طبعة ١٣٢ مليون نسخة. وهناك تسابق بين اليهود على تملك كبريات الصحف العالمية، ومن أشهر الأسماء اللورد نور ثكليف، وروبرت ماردوخ، وماكسويل والأخيران حملا لقب امبراطور الصحافة.

فهل لنا استراتيجية محددة في مقابلة هذه الوسائل الضخمة والجواب لا، ولكن لنا أن نقترح تلك الاستراتيجية.

استراتيجية الإعلام العربي عالميا

١ ـ تركيز النشاط الاتصالي على الدوائر التي تشارك في تصوير ورسم السياسة

الخارجية.

٢ ـ استخدام الفرص المعطاة في أجهزة الاتصال العالمية لعرض وجهة نظرنا.

٣ ـ زيادة المعروض من الأخبار العربية وتفسيرها وصوغها في البلاد العربية، أو في البعثات العربية في الخارج. مع الاستفادة من الزوار الأوروبيين للبلاد العربية.

٤ ـ دراسة القوى السياسية في المجتمعات الغربية، والتفاعل معها في إطار القانون والعرف الدبلوماسي.

٥ ـ اتباع سياسة إيجابية تقترح باستمرار حلولا بديلة وتشرح سياستنا شرحا متكاملا، وتعترف بالحقائق، وتضم اتجاهات كثيرة متفقة في الهدف.

٦ ـ مخاطبة مجموعات الرأي العام كل بالأسلوب المناسب، والعمل على إيجاد مناخ في الرأي العام يتعاطف معنا.

٧ ـ العمل على تغيير صورة المسلمين في المجتمعات الغربية.

٨ ـ العمل على تخطي الفجوة الثقافية، واكتساب ثقة العالم.

٩ ـ العمل على الحوار مع المعتدلين في شتى المجتمعات وهناك ما يسمى بالنظام الاعلامي الجديد وقد أشار إليه محمد المصمودي في كتاب حمل ذات العنوان وأشارت إليه عواطف عبدالرحمن في كتابها «قضايا التبعية الاعلامية والثقافية في العالم الثالث» ولابد للإعلام الإسلامي من دور محلي وهو:

دور الإعلام محليا وآثاره

١ ـ نشره عقيدة التوحيد بما تتطلبه من مراقبة لله وعبادة له، فهذا أرقى ما نجاهد من أجله، فحين يعبد الإنسان ربه يملك حريته الحقيقية، ويحقق بحق الخلافة

عن الله في الأرض بتعميرها بالعمل الصالح.

٢ ـ التأكيد على حرية الفرد، وأنه لا يصح لغير الله استعباد خلقه، وتوعية الفرد بحقوقه وصون دمه وماله وعرضه ودينه.

٣ ـ ترقية اهتمامات الناس، حتى يسمو على مجرد إشباع الشهوات إلى الاهتمام بالعلم والحضارة.

٤ ـ ترقية عقول الناس بتنزيهها عن الخرافة، وتعويدها على التفكير الصحيح، وبيان كيفية تلقي العلم من مصادره الصحيحة، وبوسائله النافعة.

٥ ـ ترقية سلوك الناس، لأن الانسان الراقي فعلا هو المهذب سلوكيا، فالأمم بأخلاقها لا بسياراتها وقصورها.

٦ ـ اشاعة الثقافة الإسلامية بكل سبل النشر والتعليم والبلاغ.

٧ ـ الاهتمام بتقدم المسلمين التقني، وإشاعة جو من الاقبال على العلم التجريبي.

٨ ـ العمل على وحدة الأمة الإسلامية، ونبذ الخلافات.

٩ ـ كشف عيوب الفكر غير الإسلامي، وبيان ما يؤخذ منه وما يترك.

١٠ ـ الاستمرار في الدعوة إلى الله.

ويجمع هذا كله ما يلي:

١ـ الفائدة الإعلامية:

١ـ تدفق الإعلام دون عوائق أو قيود بما يساعد على اتخاذ المواقف والقرارات الصحيحة في حياة المسلمين اليومية. على أن تكون المهمة الرئيسية للنظام الإعلامي هي تزويد الجماهير بالأخبار والمعلومات

والحقائق الشاملة، مع ضرورة اطلاعهم على التقنية المتخصصة بلغة سهلة ومفهومة حتى يتهيأ جو صحيح يدفع الناس إلى التقدم العلمي.

٢ـ الفائدة الاتصالية:

وفيها يتم التركيز على النهوض بالقيم والالتزامات الاجتماعية وتهيئة الجو للتنشئة الاجتماعية الصحيحة، وعرض الفنون النظيفة والتقريب بين الشعوب وأجهزة الحكم، وبين الشعوب بعضها وبعض مع الواقعية بقدر الامكان دون مغالاة أو وكس.

٣ ـ الفائدة الثقافية:

ومنها يجب على وسائل الإعلام ان تساعد على حفظ الثقافة الإسلامية وتأكيد الجوانب الايجابية في التراث الإسلامي، وبذلك تسهم وسائل الإعلام في بعث وتقوية خصائص الشخصية الإسلامية، كما يجب العمل على تقوية التفاهم الدولي عن طريق تبادل الأنباء المتعلقة بالانتاج الثقافي في جميع أنحاء العالم وتشجيع الحكومات على تزويد الرأي العام بانتظام بما يتعلق بالصناعة والتجارة والزراعة والتعليم.

ومن ذلك أيضا تدريب صناع القرارات الإعلامية على توجيه وسائل الإعلام وتكييفها لخدمة هذه الأغراض.

وبعد ذلك يأتي دور التخطيط الإعلامي ..

التخطيط الإعلامي والاتصال بالجماهير

إن الصراع الايديولوجي يقوم الآن على أسس علمية من:

أ ـ التخطيط الاعلامي.

ب ـ التثقيف الاتصالي المدروس وهو أساس الحرب السياسية والثقافية التي تتعمد التغلغل في نفوس الشعوب، والتأثير في أفكارها وآرائها ومعتقداتها وتفسير الاحداث بما يتفق مع اتجاهات معينة. وهذا التخطيط المدروس يمكن أن يحدث

أ ـ انقساما ما بين الطبقة الحاكمة.

ب ـ يباعد بين الشعب وقياداته.

جـ ـ يؤثر في إرادة الأمة وقدرتها على اتخاذ قرارات معينة.

والتخطيط الإعلامي هو جزء من النخطيط القومي الشامل، ومتشابك مع التخطيط في جميع المجالات الأخرى. وهو لا يتصل بالتغيير المادي فقط وإنما يتصل بالتغيير النفسي وهو يعتمد على المعلومات الصحيحة والبحوث الدقيقة والأهداف المحددة والخطة المتبعة لبلوغ الأهداف، ثم تحويل الخطة إلى برامج تنفيذية وطرق فنية للاتصال بالجماهير.

وأخيراً التقويم لمعرفة أوجه النجاح لتدعيمها، وأوجه القصور لتلافيها. براجع بتوسع الإعلام والدعاية. «د. محمد عبد القادر حاتم.

تربية الكوادر الاعلامية وما تحتاج إليه، في كلمة موجزة: تحتاج هذه الكوادر إلى تدين صحيح، وعقل سليم، وبصيرة لماحة، علم غزير، وتضلع من الأدب العربي خاصة والثقافة الإسلامية العربية بعامة، ثم ترتيب الأفكار، والحضور الدائم للمعلومات، وأخيرا يصبح هذا إذا لم يتحول إلى عمل من قبيل الأماني والأماني لا تبني الأمم والله ولي التوفيق.

الوحدة الإسلامية بين الواقع والآمال

د. توفيق يوسُف الواعي

المفهوم اللغوي للوحدة:

الوحدة ضد الفرقة، يقال: اتحدت الأشياء وصارت شيئاً واحداً، والوحدة في النظام السياسي اتحاد دولتين أو أكثر في الرياسة والجيش والاقتصاد، كما أن الفرقة ضد الوحدة والتجمع: يقال: فرّق بين القوم أحدث بينهم فرقة، وافترق القوم فارق بعضهم بعضا، وتفرق الجميع ذهب كل واحد منهم في طريق[1].

المفهوم الشرعي للوحدة:

هو التفاف المسلمين بالحق حول كتابهم ومنهجهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفى حفرة من النار فأنقذكم منها﴾[2].

وروي عن ابن مسعود أنه خطب الناس فقال: «أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله تعالى الذي به أمر».

فاجتماع المسلمين على منهجهم وعدم تفرقهم فريضةٌ إسلامية ينبغي تحقيقها. وذلك لدليل قطعي الثبوت وهو القرآن، ثم بالسنة الصحيحة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عليكم عصا الطاعة فأضربوه بالسيف﴾[3].

---

(١) انظر ذلك في المعجم الوجيز. ولسان العرب، والمصباح المنير، والمنجد في المادة.

(٢) رواه مسلم جـ ٣ باب الإمارة رقم ١٨٤٥.

(٣) آل عمران - ١٠٣

فاجتماع المسلمين أفرادا وجماعات، وأمما ودولاً سياسيا واجتماعياً واجب شرعي [1]

أسس تلك الوحدة

إن الوحدة الاسلامية تقوم على أسس ثابتة، منها:

تماسك الأمة الإسلامية:

الاسلام مبهر في صهره للمجتمع الاسلامي وفي مزجه لأفكاره وميوله ورغباته وآماله، يجعله كسبيكة واحدة مترابطة متماسكة لاتظهر فيها عناصرُ مختلفة أو طبائعُ متعددة وإنما يشرق في محياها مكون آخر وطبيعة أخرى بمميزات جديدة وملامح مختلفة، فهي إذن جسم جديد بملامح جديدة، يقرب هذا المعنى ويؤيده قول الرسول صلى الله عليه وسلم، «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2].

وفي رواية «المسلمون كرجل واحد، ان اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله» **وما هذا إلا لأن الاسلام صاغ المجتمع المسلم صياغة كاملة تحيط بكل ما يكّون نوازع الانسان وملكاتِه وأفكارَه، وبنى وحدته على أسس ربطت كلَ خلجاته الانسانية بأعمدة وثوابت لا يستطيع الانفصالَ منها ولا يزيغ عنها إلا هالك من هذه الثوابت.**

(١) انظر في ذلك روح المعاني مجلد ٢، الجزء الرابع ص ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، البخاري ٣٦٦/١٠ في الأدب، ومسلم رقم ٢٥٨٦ في البر والصلة.

وحدة العقيدة:

ووحدة العقيدة، هي وحدة الثوابت ووحدة الاطمئنان القلبي، ووحدة التوجه النفسي والعلمي والعملي، فالانسان في هذه الحياة يقوده اعتقادُه واقتناعُه لأن الانسان كما هو معروف يقاد من داخله، فإذا نبض هذا الداخل واستضاء بالعقيدة الحقة وسرت في نفسه بشاشةُ الايمان، تحركت طاقاته وانطلقت محلقةً بوقود رباني يكاد زيته يضيىء ولو لم تمسسه نارا. وانطلاقة العقيدة الاسلامية انطلاقة كلية يُحسها المسلمون وينقادون لها «كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك واليك المصير»[1] حيث أن العقيدة هي قاعدة التصور للانطلاقة الاسلامية وقاعدة المنهج الذي يحكم الحياة وقاعدة الخلق، وقاعدة الاقتصاد وقاعدة كل حركة يتحركها المؤمن هنا وهناك، فالسيادة على ضمائر الناس وعلى سلوكهم لله وحده بحكم هذا الايمان، ومن ثم فالتشريع وقواعد الخلق ونظم الاجتماع والاقتصاد لا تتلقى إلا من الله صاحب السيادة، ومن ثم ينطلق الانسان حراً ازاء كل ماعدا الله طليقا من كل قيد إلا من الحدود التي شرعها الله، عزيزاً على كل أحد إلا بسلطان الله.

ولهذا صاغت العقيدة الاسلامية المجتمع المسلم صياغة جماعية مبهرة وأضفت عليه من الصفات والمميزات ومنحته من العطاءات ما جعله قوة سامية عظيمة في كل توجهاته.

وحدة القيم:

القيم في المجتمع المسلم عبارةٌ عن منظومة من الفعاليات الخلقية والانسانية والحضارية المتعلِقة بذاتية المجتمع، فهي جامعة للتوجهات الانسانية الخيرة.

---

(١) سورة البقرة.

فأما التي تتعلق بذاتية المجتمع وتماسكه القيمي، فهي كثيرة ومستفيضة تبلغ من كثرتها حداً مدهشاً يرسم صورة فريدة للمعاني الانسانية والحياتية والاجتماعية المتقدمة للحضارة في أجل معانيها، وقد ترجم الانسان المسلم هذه القيم إلى حياة واقعية وإلى مجتمع وإلى أمة بل إلى نظام عالمي فريد أيقظ الحس البشري قديماً وتصبوا اليه اليوم حديثا. وقد حدثنا القرآن عن هذه المنظومات الخلقية الفريدة في لوحات رائعة، كقوله تعالى: ﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولوكان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون**﴾ ﴿**وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيل ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾(1).

تلك الوصايا الربانية التي تشكل قواعد الانطلاقات البشرية الطاهرة التي تبدد أوهام الجاهلية في كل مكان فإذا بها قواعد هذا الدين كله.

(ولهذا كانت الأمة كلُها مرتبطةً بنسيج قوي من المبادىء التي تمسك وحدَتها الفكرية والسلوكية والاجتماعية).

وحدة الدستور والقانون:

نبذ المسلمون عبودية الانسان للانسان في كل مناحي الحياة. وذعوا الناس إلى نبذها ﴿**قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا**

---

(١) الأنعام ١٥١ ـ ١٥٣.

يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[1].

ومن هذه العبودية المنبوذة التي كانت تكرس الاذلال. العبودية الدستورية التي تكرس عبودية دولة لدولة أو عبودية طبقة لطبقة أو عبودية حاكم لأمة، لأن العبودية عندهم لا تكون إلا لله ولأن الاحتكام في مفهومهم لا يكون إلا لمنهجه وليس لبشر كائنًا من كان. وصدق الله **﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾**[2]، لأن شرائع الله جاءت لتطاع ولتحكم سلوك البشر بما يصلحهم ويصلح الحياة بهم **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ ﴿وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك. فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم، وان كثيراً من الناس لفاسقون، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾** ان هذا التوجه نحو الحرية الدستورية جعل الأمة تتساوى كأسنان المشط بالنسبة للحقوق والواجبات وبالنسبة للعزة والكرامة وبالنسبة للمحاسبة والمساءلة والثواب والعقاب. فليس لأحد حصانة وليس لأحد فوقية قاهرة أو متكبرة على حساب أحد.

وحدة القيادة:

اتفقت الأمة الاسلامية على قيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى طاعته مصداقاً لقول الحق سبحانه وتعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**[3] وقول الحق سبحانه **﴿وأطيعوا الله ورسوله**

---

(١) آل عمران ٦٤.

(٢) آل عمران ٧٩.

(٣) النساء ٥٩.

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[١]. ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[٢].
وكما أن الأمة الاسلامية على اتفاق بأن قائدها الأول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم كذلك على اتفاق باتباع خلفائه من بعده لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني»[٣]. وقال عمر بن الخطاب: «لا اسلام إلا بجماعته ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة»[٤].

وقال ابن حزم (أجمع أهل السنة والمرجئة والشيعة والخوارج على وجوب نصب الامام)[٥].

فإيجاد الجماعة الإسلامية فريضةٌ، ووقوفُها خلف إمام واجبٌ شرعي، والعمل على إيجاد هذا وذاك هو واجب العصر، كما لا يصلح في هذا الأمر تعدد القيادات وتفريق شمل المسلمين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[٦] ويؤيد هذا قول ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع فإن جاء آخر فاضربوا رقبة الآخر» قال عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعته أذناي ووعاه قلبي.[٧] ويؤيده ماجاء في صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة.. فما تأمرنا؟ قال صلى الله عليه وسلم «وفوا ببيعة

---

(١) الأنفال ٤٦.
(٢) النساء ٨٠.
(٣) أخرجه البخاري ١٢٤/٥ ومسلم ١٤٦٦/٣ وابن ماجة ٩٥٢/٢ وأحمد ٢٥٣/٢ والنسائي ١٥٤/٧.
(٤) أخرجه الدارمي ٧٩/١ موقوفا.
(٥) الملل والنحل ٨٧/٤.
(٦) رواه مسلم ١٤٨٠/٣ وأحمد ٩٥/٣.
(٧) مسلم ١٤٧٢/٣، أبو داود ٩٧/٤، وابن ماجة ٢٠٦/٢ ومسلم ١٥٢/٧ ـ ١٥٤.

الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[1].

فوحدة القيادة في الأمة هي رمز على وحدتها في توجهها وقصدها وأهدافها كما يؤكد تماسكها وقوتها وولاءها لمنهجها «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض»[2].

وحدة الغايات والأهداف:

لاشك أن كل مسلم قد بايع ربه على تنفيذ منهجه وتبليغ رسالته والقيام بشرعته. فوحدة الغايات ووحدة الأهداف الاسلامية عند كل مسلم دين وفريضة واجبةُ التنفيذ. يعمل لها الفرد، وتعمل لها الجماعة، وتقوم بها الأمة تعليماً وتطبيقاً وتبليغاً.

الكل يتكاتف ويتعاون ويبذل كل جهده من مال ووقت ووسع في سبيل تحقيق ذلك.

﴿ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، وجاهدوا في الله حق جهاده﴾[3]. **﴿قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت﴾**[4].

وأهداف **الأمة الاسلامية** سامية لها جاذبية تفوق كل الشعارات التي ربما تستقطب بعض الراغبين في التسامي، لأنها تخاطب الأشواق والملكاتِ والنزعاتِ، وتحاول أن ترسي مبادىء الجلال والكمال على الواقع الانساني وتبتعد

---

(١) مسلم ١٤٧٢/٣ واللفظ له، البخاري ٤٠٣/٥، وابن ماجة ٩٥٨/٢، أحمد ٢٩٧/٢.

(٢) التوبة ٧١.

(٣) الحج ٧٧.

(٤) الأنعام ١٦٢.

به عن النزعات المغرقة في الحيوانية والأنانية والظلم، ولهذا فهي رغم أنها دين وعقيدة فهي أشواق وتطلعات ومبادىء لها جاذبية انسانية وفكرية ونفسية عجيبة، تشرق في كل نفس وتداعب كل خيال. فهي مثلاً:

١ـ تدعو إلى تكريم النفس الانسانية.

﴿ولقد كرمنابني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[١].

٢ـ كما تدعو الى إعلان الأخوة والمساواة. ونبذ العصبيات والعنصريات والألوان.

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[٢].

كما تؤكد على الأخوة الحانية **﴿لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه﴾[٣].**

النهوض بالرجل والمرأة جميعا بالعلم وزرع الكرامة.

﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[٤].

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[٥].

---

(١) الإسراء ٧٠.
(٢) الحجرات ١٣.
(٣) متفق عليه.
(٤) التوبة ٧١.
(٥) المجادلة ١١.

٤ـ حسن المعاملة وكمال التخلق ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ ..الخ.[1]

قال صلى الله عليه وسلم «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**»[2] ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾[3] الى غير ذلك من الأهداف التي دفعت بالأمة إلى الريادة وخاطبت الفكر المتطلع إلى المثل العليا وجمعت الأمة كلها على رسالة ومبادىء ترعاها وتبلغها وتتمثلها قولاً وفعلاً وواقعاً، فكان ذلك سياجاً للأمة وحفظاً لها من الشطحات والأفكار الضالة والخادعة التي يحسبها الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

---

(١) المؤمنون ١ ـ ٧.

(٢) متفق عليه.

(٣) آل عمران ـ ١٣٤.

التكييف الواقعي والشرعي والتاريخي لمفهوم الوحدة في الأمة

١ ـ هل الوحدة هي الأصل الواقعي للأمة الاسلامية:

(حاول الاسلام من أول يوم أن يركز مفهوم الوحدة بين الناس على اختلاف اتجاهاتهم وأشكالهم وأزمانهم ومواطنهم حيث يطوع كل لون من ألوان الخصوصيات القبلية أو العرقية أو الدينية إلى نوع من الارتباط الوحدوي لا نبالغ إذا قلنا إن البشرية اليوم تحاول أن تسير على منواله وأن تنتهج نهجه وتترسم خطاه، فرغم أن الناس لهم أباء وقبائل في الشعوب والسن وألوان. إلا أنهم من أب واحد وإنسانية واحدة)، فلابد أن يكون هناك انسجام للفرع مع الأصل وصيغة لاتحاد يرجعه إلى أصله ويصنفه ويؤلفه مع نوعه، حتى ينعم بخيرات الأرض التي وجد عليها وذللت له، خاصة وأن ربه واحد وأن أباه واحد وأن الله قد جعله خليفة للأرض وجعل عليها حياته ومعاشه. وكلفه بإصلاحها والسعي عليها (قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[1] ﴿**ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**﴾[2]، هذه أخوة الانسانية التي لابد أن يستظل الكل بها بحكم كونهم أناس على وجه الأرض.. ولهذه الأخوة حقوق رغم اختلاف اللون والعنصر والدين)، ثم حاول الاسلام أن يؤاخي بين أصحاب الرسالات السماوية المؤمنين بالله فحدثهم بمنطق فريد يجمع ولا يفرق ويوفق ولا ينفقر، فقال: ﴿**قولوا آمنا بالله**

---

(١) الحجرات ١٣.

(٢) النساء ١.

وما أنزل الينا وما أنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[1]. **﴿قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون﴾**[2] ثم تكلم القرآن في سورة الأنبياء عن الرسل والأنبياء عن الرسل والأنبياء، وعددهم وذكر كفاحهم ذكر ابراهيم ولوط ونوح وسليمان وأيوب وزكريا وعيسى ومريم ثم قال: **﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾**[3] وقالى تعالى: **﴿ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم، وأن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فأتقون، فتقطعوا أمرهم بينهم، كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين﴾**[4]. فجعل أمم الرسالة أمة واحدة والخارجون عنها خارجون على النهج الأصلي الصحيح لأهواء وشهوات يجب أن يرجعوا عنها حتى يستقيم النهج وترشد المسيرة **﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾**[5]. ثم تكلم القرآن عن الأمة المسلمة الملتزمة بالوحدة العقائدية والعبادية والتشريعية وذكر أسس تلك الوحدة في العقيدة والعبادة والسلوك والدستور والنهج الذي تنهجه في الحياة والطريق الذي يجب أن تسلكه، والقيادة التي يجب السير بها إلى منهج ربها وغاياتها، ولغتها وتاريخها ومعالمها. ثم أوصى الاسلام بلزوم الجماعة وجعلها معلما من معالم الاسلام، قال صلى الله عليه وسلم: وأنا أمركم بخمس الله أمرني بهن، بالجماعة والسمع والطاعة، والهجرة والجهاد في سبيل الله فإن من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه إلى أن يرجع.. قالوا يا رسول الله

---

(١) البقرة ١٣٦.
(٢) البقرة ١٣٩.
(٣) الأنبياء ٩٢.
(٤) المؤمنون ٥١ ـ ٥٤.
(٥) الأنعام ١٥٩.

وإن صلى وصام؟ ! ! قال: وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.[1] وقال صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان كذئب الغنم. يأخذ الشاة القاصية، والناحية، وإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة»[2]. وأخرج البخاري ومسلم عن مروان «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بثلاث.. والمارق من الدين المفارق للجماعة»[3]. وجعل القرآن الجماعة نعمة وعصمة من النار. قال تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**﴾[4].

وقال تعالى: ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم**﴾[5].

وقد ركز الاسلام من أول يوم على ربط المسلمين بالمعاني التالية:

الأمة لا تصلح إلا بجماعة

١ـ انه لا نصرة إلا بجماعة واتحاد وقوة.

٢ ـ لابد من جماعة تحمل الدعوة وتبلغها وتجاهد في سبيلها.

كما اقتضت ارادة الله أن تكون للإسلام أمة لحكمة تتجلى فيما يلي:

١ ـ أن تكون هي الأمة الوسط شهيدة على الناس ﴿**وكذلك جعلناكم أمة**

---

(١) أحمد ٢٠٢/٤.

(٢) أحمد ٢٤٣/٥، وقال الألباني في الطحاوية ٥٧٨ صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه البخاري ٦/٩ ومسلم ١٣٠٣/٣.

(٤) آل عمران ١٠٣.

(٥) آل عمران ١٠٥.

وسلطا لتكونوا شهداء على الناس﴾[1].

٢ ـ أن تكون أمة المثل والقدوة والريادة.

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[2].

٣ ـ أن تكون هناك أمة تجاهد في سبيل الحق ورفعة أهله.

﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾[3] ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾[4].

وكان صلى الله عليه وسلم شديد التحذير من عواقب الاعتزال والفرقة، وكان في حله وترحاله يأمر بالوحدة والتجمع عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الشيطان يهم بالواحد والاثنين فإذا كانوا ثلاثة لايهم بهم﴾[5].

ويقول صلى الله عليه وسلم: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية»[6]. وبهذا نعلم أن الوحدة والجماعة هي الأصل الواقعي للأمة الإسلامية لأنه هكذا أراد الله لها، وهكذا حض الرسول صلى الله عليه وسلم على لزومها والتمسك بها لتستطيع أن تقوم الأمة برسالتها ولا تشغل بتنازعها وأهوائها عن منهجها الذي كلفت به.

---

(١) البقرة ١٤٣.
(٢) آل عمران ١١٠
(٣) الصف ١١.
(٤) المائدة ٥٤.
(٥) مالك.
(٦) البخاري.

المفهوم الإسلامي في ترسيخ مشروع الوحدة

يبدأ المفهوم الإسلامي في ترسيخ الوحدة في علاقة الأفراد بعضهم مع بعض وهذا هو الترتيب الطبيعي، وذلك فيما يعبر عنه الإسلام بالأخوة **﴿والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم﴾**(1).

وقال علي بن أبي طالب عليكم بالاخوان فانهم عدة الدنيا والآخرة، الا تسمع الى قول أهل النار ـ **﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾** وقد جعل الاسلام للاخوة قانونا هو في الحقيقة قانون للتآلف والوحدة ـ من ذلك أن تسلم عليه اذا لقيته وأن تجيبه اذا دعاك، وأن تنصح له اذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لها، وأن تعينه بالنفس والمال وأن تعفو عن ذلاته، وأن تخلص له وتفي، وأن تحسن جواره ومعاشرته، الخ

ثم تأتي الوحدة في الأهداف العامة:

١ ـ وحدة التعاون والتكاتف والقلوب والمشاعر **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾**(2) **﴿مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر﴾**(3)

---

(1) الحشر ١٠٢٩.

(2) سبق تخريجه.

(3) سبق تخريجه.

٢ ـ وحدة التربية والتعليم والمناهج ﴿**ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**﴾ [(١)]

٣ ـ وحدة العمل بالمنهج ورعاية شئون الأمة على هذا الهدى: ﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم**﴾... **الخ.**

وحدة الأهداف العليا والسير بها في الطريق الصحيح، ﴿**ليكون الدين كله لله**﴾[(٢)].

﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً**﴾[(٣)] ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً**﴾[(٤)].

٥ ـ وحدة التبليغ وحمل الأمانة الى العالم وهي رسالة الأمة ﴿**قل هذه سبيلي ادعوا الي الله على بصيره أنا ومن إتبعن**[(٥)] ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[(٦)].

٦ ـ وحدة التشريع والدستور والتنظيم ﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل اليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيراً من الناس لفاسقون. افحكم الجاهلية يبغون**﴾[(٧)].

---

(١) آل عمران ٧٩.

(٢) الانفال ٣٩.

(٣) الفتح ٢٨.

(٤) الفرقان ٦٣.

(٥) يوسف ١٠٨.

(٦) آل عمران ١١٠.

(٧) المائدة ٤٩ ـ ٥٠.

٧ ـ وحدة القيادة: تحت امام أو أمير، أو خليفة، او رئيس، وذلك واجب عند الأئمة بالقرآن والسنة، بالقرآن قول الحق سبحانه ﴿**واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[١]. وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ومن أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»[٢]

٨ ـ وحدة القرار والولاء للاسلام والمسلمين ـ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم، ان الله لا يهدي القوم الظالمين، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين** ﴾[٣].

٩ ـ وحدة الارادة الحرة، أي أن الفرد المسلم لا بد وأن يرى المثل الحي والقدوة المتجردة كما يلمس الخير الذي سيعود على الاسلام والأمة وعليه شخصياً من هذه الوحدة ـ ولا بد أن يربي فيه الحافز الايماني والفكري والعقائدي الذي يدفعه الى الصلاح في الحال والفلاح في المآل ، وقد كان الرجل يجاهد قبل في سبيل فكرته ويقتل طائعاً ويقول عندما يحس برد الرمح في صدره فزت ورب الكعبة.

١٠ ـ وحدة الكوادر القادرة والمؤسسات الفاعلة التي توجه بتنسيق منظم الى انهاض الأمة بخطط حكيمة ومخلصة لترفع وهدتها في كثير من المجالات بنظر منفتح مستفيدة بتجارب الأمم العلمية والتنظيمية «الحكمة ضالة المؤمن أخذها أني حدها فهو أحق الناس بها».

---

(١) النساء ٥٩

(٢) سبق تخريجه

(٣) المائدة ٥١

مفهوم الوحدة الاسلامية المقترحة في هذا العصر :

ليست الوحدة الاسلامية بدعاً في العصور الغابرة أو الحاضرة، وانما هي نظرة متقدمة لوحدة الاستقرار المذهبي والعرقي والقومي والفكري طبقت في عصور بقوالب معينة ناسبت أزمانها فانتشلتهم من وهدتهم وقادتهم الى الحرية والتقدم والحضارة، انتشلتهم لا بقوالبها ومراسمها ولكن بأهدافها وأسسها فقد تتغير القوالب حب مصالح الناس وبما يخدم الأهداف والغايات، والقوالب كانت وما زالت محل اجتهادات وتطور، حسب الأزمان والأماكن والتقدم الفكري في كل موطن. فالوحدة اليوم تتحقق بأي قوالب وتنظيمات تحقق تلك الأهداف المسبقة، فأي تجربة تحقق هذه الأهداف بأساليب أفضل ولصالح هذه الأمة وبما يوافق طبيعتها ومنهجها، فلا بأس بها.

واذا اجتمعت الأمة الاسلامية واستفادت من كل التجارب السابقة والمتواجدة على الساحة الآن واسست نظاماً أفضل وأكمل في تحقيق الأهداف والغايات فلا بأس». والحكمة ضالة المؤمن فالاسلام كما ذكرنا لا يتعبد أحدًا بقوالب دستورية وانما يتعبد الناس بأسس ومبادىء وأهداف، فلا داعي للمتاهات والشطحات وليتنادى الجميع الى النظر في المشاكل الحيوية وأظنها سلطوية أو الحادية أو شهوانية فالاسلام لا يكرس سلطة لأحد الا لمنهجه وتعاليمه والكل يعرف بداهة قول الرسول صلى الله عليه وسلم، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وليس لأحد أن يشرع أو يقول برأي يخالف شرع الله، فالكل كما نعلم أمامه سواء، والطاعة لولي الأمر واجبه فيما أحب المسلم وكره ما لم يؤمر بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

الواقع التاريـخي للأمة الاسلامية في صعودها وهبوطها وعلاقته بالوحدة والفرقة

يذكر لنا التاريخ أن الانسان الجاهلي في ظل الاسلام قد ارتقى وتخلص من أدرانه وأن الاسلام قد أقام عوج الحياة، ورد كل فرد في البشرية الى موضعه اللائق به وأصبحت الهيئة البشرية طاقةً زاهرةً وأصبح الناس أسرة واحدة أبوهم آدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى. وصهر الناس في بوتقة المبادىء السامية التي ترفع الناس عن حمأة الطين ﴿**لينتهين قوم يفخرون بآبائهم، وليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان**﴾[1] وليس معنى صهر الناس في بوتقة الايمان نسيان الأقوام والبطون والأوطان، ولكنه نزع فتيل تفجير العداوات والنعرات وتحويلها الى أصلها في معرفة الأنساب والأصول ثم التنافس في الخير والمعروف، ﴿**وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[2] ﴿**خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا**﴾[3].

اذن لا يقبل الاسلام أن تكون العصبيات ديانات ﴿ **ليس منا من دعى الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية**﴾[4] ولكنه يقبلها اذا كانت تساعد في بلوغ الأهداف على طريق الايمان والتقدم، وتعميق المسؤولية.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ـ ٣٩٥٠، وقال حسن، وأبو داود رقم ٥١١٦ من الأدب.

(٢) الحجرات.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم رقم ـ ١٨٤٨ ـ وأبو داود رقم ١٢١.

صعود المد الاسلامي :

تجمع العرب من ضياع وشتات وفرقة في صحراء موحشة ليس فيها من أسباب المدنية أو الحضارة شيء، جمعهم الاسلام وقادتهم رسالته، فدانت لهم الجزيرة ثم تقدموا نحو الأكاسرة والقياصرة فأنسوهم وساوس الشيطان وأخرجوهم من عبادة الناس الى عبادة الله ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ومن ضيق الدنيا الى سعتها، ثم طوفوا في المشارق والمغارب وسمع مؤذنهم في بلاد الصين شرقاً وتخوم الأندلس غرباً وتوغلوا في أوروبا حتى كانت قاب قوسين أو أدنى من سلطانهم.

وما ذلك الا لأنهم كانوا قوة موحدة عاقلة تكافح في سبيل تحقيق مبدأ وتركيز عقيدة وحمايتها، وتجاهد في ابراز الدعوة للعالم في قوة وكرامة، وقد حشد القرآن لدعوته كل القوى وجند لها كل المؤمنين بها من غير استثناء ووافق بين كل جندي وبين ما يصلح له من عمل، ووضع لجنوده آدابا عالية وقوانين أخلاقية سامية تؤهلهم لحمل الأمانة وصيانتها، وترتفع بهم على الدنيا والافتتان بها، وان كان لم ينتزعها منهم أو يبعدهم عن السيطرة عليها والتحكم فيها بقوانين الاصلاح ومناهج الاستقامة. وكان من أهم تلك الآداب.

١ ـ الايمان بالفكرة والاخلاص لها والاستعداد للتضحية في سبيلها.

٢ ـ المبايعة على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره **﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله﴾**[1].

٣ ـ الثبات عند اللقاء وذكر الله عند الفزع **﴿يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾**[2].

---

(١) الفتح ـ ١٠

(٢) الأنفال ـ ٤٦

٤ ـ عدم التنازع مطلقاً على أمر في القتال والصبر في البأساء **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾**[١].

٥ ـ الحب والألفة والوحدة وتآلف القلوب **﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾**[٢]

٦ ـ الثقة في الله والقوة النفسية التي لا تخاف أحداً.

« يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، اذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الدنيا لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لا ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعت على أن يضروك بشيء لا يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك. جفت الأقلام وطويت الصحف»[٣]

٧ ـ القصد دائماً الى القوة وجعلها سبباً في رضاء الله، والتدريب عليها فضيلة من أكبر الفضائل والاعداد لها فريضة من الفرائض.

«المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف» مسلم[٤]

«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل»[٥]

ثم مرت عقود انحسرت فيها هذه المبادىء وتزامن فيها انسحاب تلك التوجهات مع انحدار الموجات الفاعلة في قوة المسلمين النفسية والحربية

---

(١) الأنفال ٤٦.

(٢) الأنفال ٦٣.

(٣) أخرجه الترمذي رقم ـ ٢٥١٨، وقال حديث حسن صحيح ورواه أحمد رقم ,٢٦٦٩,

(٤) مسلم.

(٥) الأنفال ٦٠.

والحضارية والعلمية. كنتيجة طبيعية لحالة الانهزام العقائدي والنفسي، وصدق الله ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾[1]

ثم جاءت بعد ذلك فترات عجاف، وهن فيها جسد الأمة وتولى منصب الامامة وسدة الحكم فيها رجال لم يعدوا له عدة، ولم يأخذوا له أهبة، ولم يتلقوا له تربية دينية وخلقية ونفسية عميقة كما تلقى الأولون وكثيرون في عصورهم وأجيالهم ولم يكن عندهم من روح الجهاد والكفاح وتحمل التبعات في سبيل الاسلام شيء ولا من قوة للفهم في المسائل الدينية والدنيوية اي اثر فما يجعلهم يضطلعون بأعباء الخلافة الاسلامية فتحررت السياسة من رقابة الدين، وأصبحت في كثير من الأشياء ملكا عضوضا، وأصبحت كحمل هائج حبله على غاربه.

ثم ما لبث أن وهن هذا الجسد الاسلامي وتقطعت أوصاله الى أن جاء القرن السادس الهجري فمن الله على العالم الاسلامي الذي بدت عليه أمارات الضعف والشيخوخة وتوزعه ملوك وأمراء في الأنحاء وتفرق المسلمون أيدي سبأ. منَّ الله بعد هذا الشتات على العالم الاسلامي بقادة كبار حفظ الله بهم شرف الأمة الاسلامية وعزتها، وأعاد بهم الحياة في العالم الاسلامي المنهار، فوحدوا فرقته، وجمعوا شمله وساروا به الى رد الهجمة الصليبية التي جاءت تتحدى الاسلام والمسلمين وتهدد الجزيرة العربية ومهد الاسلام واستولى الصليبيون الأوروبيون فعلا على القدس وعلى عامة مدن الشام وقلاعه وطمعوا في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا أكبر خطر على الاسلام والمسلمين بعد فتنة الردة. هناك قيض الله للاسلام عماد الدين زنكي (٥٤١ هـ) الذي قارع الصليبيين وهزمهم في معارك كثيرة وفتح الرها، وقام بعده ولده العظيم الملك العادل نور الدين محمود زنكي(٥٦٩) وصمم على اجلاء الصليبيين من الشام واسترداد القدس من يد

---

(١) مريم ٥٩.

الأعداء، ومات رحمه الله قبل أن يكمل مهمته، وخلفه في ذلك بعض رجاله السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر، وهو الرجل الذي هيأه الله لهذه المهمة العظيمة وجمه فيه من خصال الحزم والعزم والاخلاص والتجرد للغاية وعلو الهمة في نصر الاسلام، وقتال أهل الكفر والبغي، كما وهبه الله حسن القيادة، والفتوة الفائقة، والانسانية السامية، ومكارم الأخلاق، ما لا يجتمع الا في أفذاذ الرجال في العالم، فكان بذلك معجزة من معجزات الاسلام، ودليلاً على أن الاسلام لم ينته دوره ولم يفقد الحيوية والانتاج.

وقد توحد العالم الاسلامي من بين نهر الفرات وبين النيل للمرة الأولى بعد مدة طويلة ليقاتل صليبية أوروبا التي تدفقت جيوشها، واندفع ملوكها وأمراؤها وقوادها الكبار ليهاجموا العالم الاسلامي، وقد اجتمع تحت لواء صلاح الدين للجهاد أجناس كثيرة من المسلمين لم تجتمع من قبل، والتهبت شعلة الجهاد والغيرة على الاسلام بعدما خبت مدة طويلة واستخدم صلاح الدين للجهاد كل ما وصل اليه العالم الاسلامي من العلم والاختراع وصناعة الحرب يومئذ فهزم الصليبيين في حطين عام ٥٨٣ هزيمة منكرة وكسر شوكتهم وفتح القدس في نفس العام واستولى على فلسطين كلها وانحسر الصليبيون مدحورين في صور، وجلا الغزاة ورجعت ملوك أوروبا يجللها الخزي والعار.

وضعف المسلمون مرة أخرى وتفرقوا بعد وحدة وهنوا بعد قوة فجاء التتار ليمزقوا الامبراطورية الاسلامية وسقطت بغداد في أيديهم وورث التتار والمغول تراث المسلمين وناهيك ما كان من بؤس وشقاء وسفك دماء وجماجم وأشلاء، الى أن انتفضت الأمة لصد هذه الغارة الجاهلة المتوحشة فنادت بصوت واحد واسلاماه فكان النصر وكان الفوز، ثم تحرك الترك العثمانيون على مسرح التاريخ وفتح محمد الثاني ابن مراد، وهو ابن أربع وعشرين سنة القسطنطينية العظمى عاصمة الدولة البيزنطية المنيعة سنة (٨٥٧ هـ)، (١٤٥٣ م) فجدد رجاء الاسلام

وانبعث الأمل في النفوس في استرداد قوة المسلمين ومكانتهم في العالم، وكان فتح القسطنطينية التي استعصت على المسلمين ثمانية قرون دليلا على كفاءة المسلمين وقوتهم وحيويتهم حينما يرجعون الى ربهم ويعتصمون بكتابهم

وبغير كبير جهد وبرجوع الى عصور النصر وعهود الهزائم التي لازمت تاريخ المسلمين يدرك الانسان بغير عناء حقيقة لا يختلف عليها اثنان، وهي أن وحدة المسلمين واتباعهم لمنهجهم ورجوعهم الى ذاتيتهم العلمية والنفسية والحضارية كانت سببا في تقدمهم وعلوهم وانتصارهم في جميع الميادين التي خاضوها.

وأن تفرقهم وتقاطعهم وتدابرهم وتدهورهم الايماني والعلمي والفكري كان السبب الأكيد في انسحابهم من أي مشروع حضاري وانساني. كما كان العامل الأساسي في تشرذم الأمة وضياع عزها واصابتها بالوهن والانحسار.

المفهوم المستقبلي للوحدة وقبوله واقعياً وعالمياً :

هل يسمح الواقع المعاصر للعالم اليوم طائعا مختار ببروز الوحدة الاسلامية. الجواب: لا. لأن المشروع الاسلامي له طبيعته غير المرغوب فيها للاسباب التالية:

١ ـ التوجه الاسلامي الصحيح في حقيقته يبرز كقوة حق تدافع عنه وتدين به في مواجهة الباطل الذي تتخاصم معه وتقفز عليه وصدق الله ﴿**ونقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق**﴾ ودائماً أبداً تقدم الحق على حساب الباطل، واذا كسب الحق أرضاً جديدة يخسر الباطل موقعاً جديداً. وصدق الله ﴿**قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً**﴾ ولا يخفى على كل صاحب بصيرة المعسكرات اليوم أو أصحاب النفوذ اليوم نفعيون أنانيون، مصالحهم هي الحق وما عداه فهو الباطل، فهل يتعايش هذا مع اصحاب حق أو دعاة عدالة.

٢ ـ الاسلام عقيدة واضحة توافق الفطرة وتساير التوجهات الانسانية وترشدها ولا تصادم العلم أو المدنية والحضارة بل تبعد الانسان عن العقد والتمزق النفسي. وتعطيه اشراقه في الحياة، وقوة في حمل الأهداف والغايات، وليس في الساحة الفكرية اليوم ما يماثله أو يقاربه، وبهذا فهو منهج مبهر سريع التجميع والتطويع والتنامي يخشى كثير من الشعوب قوته وسحره على كياناتهم التي تفتقد السند الروحي والدافع الفكري.

وقد ترجم العالم الغربي هذا الى استراتيجية محددة ببنود معروفة منها :

أولاً ـ يسكن المسلمون منطقة جغرافية تتحكم في العالم كله ولها موقع استراتيجي مميز، ومن قبل كانت السيطرة على المنطقة من الأسباب الرئيسية للحملات الصليبية، وما زال الوضع الاستراتيجي للشرق الأوسط كمركز للمواصلات العالمية البحرية البرية والجوية مهم للغاية،

ثانياً ـ لديهم خصوبة بشرية تمكنهم من التفوق على غيرهم ان هم أحسنوا اعدادها وتوجهها.

ثالثاً ـ يملكون من الثروات والمواد الخام، ما يستطيعون به بناء قوة صناعية في وقت تقل فيه موارد البلاد الأخرى مما يجعلهم يتحكمون في توجيه الصناعات في العالم.

رابعاً ـ الاسلام ذلك الدين الذي له قوة سحرية على تجميع الأجناس البشرية المختلفة تحت راية واحدة، بعد ازالة الشعور بالتفرقة العنصرية من نفوسهم وله من الطاقة الروحية ما يدفع المؤمن به على الدفاع عن أرضه وثرواته بكل ما يملك مسترخصاً في سبيل ذلك كل شيء حتى روحه يحرص على التضحية بها فداء لأوطان الاسلام.

٣ ـ أوروبا والعالم الصليبي وكثيرون غيرهم يخضعون لرواسب الماضي، الذي كان يتسم بالصراع الفكري والعسكري، وظلت عوالقه في العقل الباطن وفي الذاكرة الى اليوم يتوارثها جيل عن جيل ويبثها مفكروهم وكتابهم في زوايا التاريخ لتظل حية في ضمير أممهم تحمل التشويش والكراهية والتحذير من المسلمين ومن دينهم، يوضح هذه الحقيقة كثير من الكتاب الغربيين من أمثال باول شمتز الذي كتب كتابًا يحذر فيه من خطر الاسلام والمسلمين على الغرب أسماه «الاسلام قوة الغد العالمية» وهذا الكتاب يشرح بتفصيل خطورة الأمة الاسلامية، ويقول فيه: «ان الأمة الاسلامية هي الخطر المتوهج الذي يمر عليه الانسان في أوروبا وبكل بساطة وفي غير اكتراث، فأصحاب الإيمان بالإسلام يقفون اليوم «قبيل الحرب العالمية الثانية» في جبهة موحدة معادية للغرب، بينما يقف الغرب نفسُه لا يستطيع سوى أن يعرض تمزقه في غير حدود تجاه هذه الارادة الاسلامية المتربصة والحازمة. وهذا نداء وتحذير، يجب أن يلقى الاحترام الجدي من أجل مصالح الغرب وحدها»[1].

وهذا الصراع وهذه الكراهية انتقلت إلى رجل الشارع في الغرب فقد أظهر استفتاء للرأي العام الفرنسي أجرته صحيفة (الفيجارو) في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٣ أي بعد ٩ أيام من اندلاعالحرب الرابعة بين الدول العربية واسرائيل أن:

٤٥٪ مع اسرائيل.

١٦٪ مع العرب.

٨٪ مع الطرفين.

٣٠٪ لا رأي لهم.

---

(١) الإسلام قوة الغد ص ١١.

وفي لندن أسفرت النتائج في وسط الانجليز في استفتاء للرأي أجراه المعهد الوطني لاستفتاء الرأي العام عن الحرب في الشرق الأوسط أن:

٥ر٤٧٪ يؤيدون الاسرائيليين.

٥٪ يؤيدون العرب.

وفي واشنطن: أجرى معهد جالوب الأمريكي استفتاء للرأي عن النزاع في الشرق الأوسط يوم ٦ أكتوبر، وهو نفس اليوم الذي بدأ منه القتال، واتضح أن النسبة كانت كالآتي:

٤٧٪ من الأمريكيين يؤيدون اسرائيل.

٦٪ يؤيدون العرب.

وهذا يظهر بوضوح آثار الغرس اللعين الذي غرسه دهاقنة الكراهية ضد الاسلام والمسلمين، ولو أجري استفتاء اليوم لكان أدهى وأمر!!!

٤ ـ العداء اليهودي المتمركز في المنطقة:

يعرف اليهود قبل غيرهم قوة العقائد وخاصة العقيدة الاسلامية والتجمع الاسلامي، الذي يعرفون خاصيته وصلاحيته واستعصاءه على الهزائم أو الاستيعاب، ولهذا فهم دائماً وجلين من ظهور العقيدة الاسلامية والتجمع عليها أو التربية على تعاليمها ولهم معها تاريخ طويل لاينسى ـ ولهذا يحاول اليهود بشتى الطرق اخماد هذه العقيدة حتى يطمئنوا على مستقبلهم الآثم وخططهم الماكرة ولنضرب مثلاً على ذلك بالاستفتاء الذي أجرته بعض الصحف الاسرائيلية حول معاهدة الصلح مع مصر والتي سميت بمعاهدة «كامب ديفد» أجرت هذا الاستفتاء تسأل عما اذا كان من الممكن أن يتم الصلح مع مصر ويستمر ويحقق لاسرائيل

ماتحب وما تحلم به من سلام دائم.[1]

كانت اجابات المستفتين بأنه إذا زال الاسلام فسوف يستمر السلام ويتحقق الاحلام «لأن الاسلام قادر على تجمع المسلمين ودفعهم نحو السيادة واستخلاص الحقوق. (وقد أوحى اليهود إلى أوليائهم من الأوروبيين والأمريكيين فانبعث الأحقاء ونكئة الجراح، فنرى وزير خارجية أمريكا واينبرج يقول: «إن الذين يعترضون على سياستنا في الشرق الأوسط لايدركون حقيقة الأوضاع في أننا لانرى خطرا على مصالحنا من روسيا فنحن نستطيع أن نحل مشاكلنا معها عن طريق صفقات القمح أو عمل معاهدة صداقة. أما الخطر الحقيقي فإنما يأتينا من الشرق الاسلامي الذي تمثله الجماعات الدينية)[2].

ولهذا فاليهود ودعايتهم التحريضية لا تنام ولا تغمض لها جفن عن التجمعات الاسلامية ونحن نعلم كيف فعلت اليهود بالمسيحية وكيف فعلت وتفعل اليوم في الاتحاد السوفيتي، ولم يبق أمامها إلا الاسلام الصامد الشامخ المتجدد الذي إذا ضربت وحدته مرة انبعث من جديد، وهي جد حريصة هي وحلفاؤها على ضربه وضرب وحدته وتوجهه. وما ضرب الخلافة العثمانية وتخريبها من قبل اليهود بخاف على أحد.

كما يحرص اليهود دائماً على هدم القوة الإسلامية، وتتمثل في أشياء أهمها:

١ ـ القوة العقائدية. ٢ ـ القوة البشرية أو الوحدوية ٣ـ القوة العسكرية ٤ـ القوة الاقتصادية ـ ويحاولون بشتى الطرق إبراز مقدرتهم في هذه الاتجاهات حتى يمتلكوا زمام العالم الإسلامي المُحَارب في هذه القدرات.

---

(١) المرجع السابق ٢٤.

(٢) مجلة الدعوة المهاجرة العدد ١١٦ ص ٢٤.

٥ ـ الخوف على مناطق النفوذ وعلى الأسواق والمصالح:

لاشك ان لغة العصر الحضارية في المجتمعات الأوروبية تتميز بملامح معينة من أهمها:

١ ـ التنمية المادية ولو على حساب أشياء كثيرة غيرها.

٢ ـ القصور الفاضح في الناحية الروحية والنفسية والخلقية.

٣ ـ الحق والعدل يتبع المصالح وليس العكس.

٤ ـ استغلال طاقات الأمم المتخلفة والتحكم فيها كمية وأسعاراً بما يوافق مصالحها.

٥ ـ خطر التكنولوجيا عن الأمم المتخلفة واعتبارها من الأسرار المهمة.

٦ ـ عدم السماح بقيام نشاطات صناعية مهمة في البلدان النامية حتى تظل سوقاً رائجة لمنتجاتها.

٧ ـ جعل الدول الأوروبية محافظ مالية لدول الخامات التي لا تعرف كيف تستغلها، وربط تلك الأموال بمصالحها.

٨ ـ توريد الكماليات للدول المختلفة صناعياً لتسرق أوقاتهم وأموالهم وتصرفهم عن العمل المنتج.

هذا وسنوضح كمثال على مانقول عدة أهداف تبين لغة الحضارة اليوم بالنسبة إلى شعوب المنطقة.

على نفسها جنت براقش

١ ـ خلل استغلال الخامات منها على سبيل المثال النفط الذي يمثل ٩٥٪ من إيرادات بعض دول المنطقة. فلابد اذن من استغلاله استغلالاً محسوباً ومجدياً خاصة إذا علمنا أنه سلعة ناضبة بالإضافة إلى مايمكن أن يؤدي إليه التقدم

التقني والذي سيؤثر بلا شك على مستوى سعره وقدرته على التنمية وتلبية الحاجات.

الخامات لاتستغل في بنيات تكنولوجية وصناعية، إنما تستغل في نشاطات غير منتجة وفي الانفاق على الكماليات وتغيير الأنماط الاجتماعية إلا إلى أساليب ترفيهية.

٢ ـ عدم تدريب العمالات: نشأ نظام اقتصادي استعماري في كثير من الدول النامية يعتمد على استهلاك أكبر قدر ممكن من خامات الغير، واستخدام أعداد قليلة جداً من العمال المهرة من أهل البلاد، والعمل في كثير من الأحيان على امتصاص التخصصات النادرة التي تظهر في وسط هذه المجتمعات التي لاتعرف كيف تستغلها ولا تساعدها هي على ذلك. واستثمار بعض رؤوس الأموال في الصناعات الاستهلاكية اليومية لتلك الشعوب وغالبا مايكون رأس المال أجنبياً أو بقروض أجنبية حتى تعود أرباحه إلى الأجانب، واستعمال رأس مال الدول النامية لإنشاء البنية التحتية غير الإنتاجية وفاء للمصالح التجارية الأجنبية. وتتركز غالباً الطبقة المتعلمة من الشعوب النامية في الإدارة المدنية التي تسهل وتخدم الأغراض الأجنبية في الاستهلاكات اللازمة لهذه الأمة التي تعيش على إنتاج تلك الشعوب.

٣ ـ النظام التعليمي: كان لابد من وجود جهاز من المتعلمين والمدربين مكتبياً لقيام بنية إدارية تتولى مسئولية الوظائف المكتبية المتزايدة علاوة على خلق جسر ثقافي يصل مابين الأجانب وبين جماهير تلك الشعوب التي لابد وأن تربط ثقافياً بها. والتي لابد وأن تسرح فيها الأفكار المختلفة وتروج والتي يريدها الغرب من تلك الأمم، ولهذا حرص الغرب أكثر ماحرص على فتح المدارس التبشيرية وتحسين مستواها الثقافي حتى تكون محضناً لعلية القوم وأولادهم، ولتؤدي دوراً معروفاً ومرسوماً بعناية ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل

تدخلت تلك الدول بنفسها أو بهيئات أسستها لتشرف على التعليم العام للدول وتوجهه إلى ماتريد حسب مخططات معينة.

ويرتبط بهذا كله رضى هذه الدول ومساعداتها المالية والانسانية بغير حياء أو موارية.

(ولهذا نرى أن مصالح الدول الكبرى تقف وقفة مصلحية تعترض توجهات الاستقلاليات والوحدة والسيادة الكاملة على مواردها وأسواقها وصناعاتها المختلفة).

المفهوم المستقبلي للوحدة واقعياً:

لابد لمن أراد أن يستشرف ملامح المستقبل الوحدوي أو يتحدث عنه سلباً أو إيجاباً، أن يغوص في واقعه وأن يدرس طبيعته ويحيط بجوانبه ويعرف دلالات ذلك الواقع ومؤثراته في مسيرة الوحدة المقترحة، وبالإطلالة بدهية على ذلك الواقع ومعرفة مدى ما يحمله أو يحتويه من توجهات تدنيه أو تباعد بينه وبين الوحدة، وبنفس الاطلالة على العناصر الوحدوية التي ممكن أن تقارن بفاعليات الواقع الفعلي للأمة اليوم نرى أن نعرض للعناصر الوحدوية مع مقارنتها بالواقع الآني للأمة الإسلامية حتى نعلم إلى أي مدى نقترب من هذا الأمل المنشود للوحدة. من تلك العناصر ما يلي:

أولا ـ الحرية والعدل: الحرية بأوسع معانيها، في الاعتقاد والفكر والنشاط الحيوي للانسان، والعدل حتى يأمن الإنسان على نفسه وعرضه وماله وتوجهه، ونحن نرى كل يوم دروساً واقعية. فما تجربة الإتحاد السوفيتي عنا ببعيد، حيث ابتعد كثيراً عن الحرية وعن العدل فتفتت في عصر تتجمع فيه الدول وتتحد فيه الشعوب، ورأينا يوغسلافيا وغيرها من دول القهر والظلم والكبت. تفر من هذه التجمعات لتنعم

بحريتها وتبتعد عن العسف والجور، ونرى دول الحرية تتجمع. كالوحدة الأوروبية مثلا ـ وعالمنا الاسلامي اليوم يتمتع بقدر غير قليل من كبت الحريات وسيادة الدكتاتوريات وظلم الجبابرة والطغاة.

ثانياً ـ توجهات القواعد نحو الوحدة: أي أن الوحدة تكون توجهاً جماهيرياً وانطلاقاً شعبياً تنبع من حنين وثقافة وتربية ووعي بالمستقبل فتكون بهذا مطلب أمة لا شهوة حاكم أو سيطرة أو توجه زعيم. وأمتنا اليوم لا رأي لها وجماهيرها لا حول لها ولا قوة، وما تجربه الجزائر عنا ببعيد وما واقعنا المعاصر في شتى الدول الاسلامية إلا من عصم ربك غير خاف على أحد.

ثالثا ـ لابد من توجهات إسلامية تمثل الريادة لهذه الوحدة أو قل اللجنة التحضيرية لهذه التوجهات، ولابد من كوادر تفرزها المجتمعات الإسلامية بواسطة محاضن قد تكون دورا للعلم، أو جماعات إسلامية أو تجمعات ثقافية أو تلمذات علمية في خلوات أو ربط أو غير ذلك من الينابيع الثقافية المخلصة المؤمنة المتجردة.. وكل ذلك في بلادنا مطارد ومضطهد ومفترى عليه وتلصق به التهم والمصائب وتنسب اليه كل السلبيات ليبتعد عن الجماهير ويسقط في الساحة مدرجا بدمه لابواكي له.

رابعا ـ التوجه نحو تقدير المصالح العليا للأمة: للاستفادة من الطاقات ونزع فتيل الحروب والصراعات، والالتفات إلى سعادة الأفراد والجماعات، وتعاون كل مع الآخر فيما يحقق الأهداف العليا للأمة، كما يجب أن تكون الأمة تملك حرية القرار وذاتية التوجيه، والأمة الآن توجهاتها وقراراتها ليست بأيديها وانما تقودها أفكار ودول وتوجهات معينة لا تستطيع ولا تريد منها فكاكا.

خامسا ـ نسيان المصالح الشخصية وخاصة من أولئك الذين يتولون سدة الحكم في البلاد الإسلامية، وبروز مصلحة الأمة وتقديم المصالح المشتركة على المصالح الفردية، والبلاد الإسلامية تنعم بكثير من أصحاب المطامع

الشخصية التي أصبحت تمثل عندهم العمود الفقري لكل توجه من التوجهات.

سادسا ـ الاتفاق على صيغة للوحدة، بعد دراسة مستفيضة بحيث تنبع هذه الصيغة من توجه الأمة ومن تراثها وتاريخها وعاداتها وقيمنها الروحية الإيمانية (الكتاب والسنة) وبحيث ينبثق عنها نظام دستوري يحاسب المخطيء ويولي الأصلح ويحافظ على وحدة الأمة ويوجهها إلى نهضة علمية وثقافية وصناعية ويطلق طاقاتها في عمارة الحياة والاستفادة من خيراتها.

وأظن أن هذا شيء يحتاج إلى جهد علمي وجهد سياسي وتقبل رئاسي على مستوى القمة وهيهات هيهات .

أسباب الفرقة والتعدد

الأسباب الفكرية والطائفية والمذهبية:

قد يكون من المستغرب بعد أن تكلمنا عن الوحدة وعن التكييف الشرعي والتاريخي لمفهوم الوحدة عند المسلمين أن نتكلم عن فرقة المسلمين الفكرية والطائفية والمذهبية وسحائب الحزن تلفنا وتؤرقنا. ويلزمنا لذلك أن نحدد مصطلحات الموضوع حتى نكون على بينة من أمرنا. فنقول:

١ ـ نريد بالفكر في بحثنا هذا. الفكر الدخيل على الأمة الذي يعارض منهجها ويغترب عن تراثها وعن اسلامها وقيمها.

٢ ـ ونريد بالمذهبية : العمل الفكري الذي عماده المنهج الذي يقوم على استنباط الأحكام من أدلة الشرع ـ من الكتاب والسنة ـ ولا يخاطب بشرا بذاتهم ولكنه يتجه الى العقل الاسلامي والانسانية بعامة.

٣ ـ ونريد بالطائفية، القيمة التي عمادها البشر الذين يلتقون حول فكر بذاته ويعتبرون كل جماعة لا تعتنق هذا الفكر ليست منهم وليسوا منها في شيء.

والمذهبية بهذا المصطلح الذي ذكرناه تعد قيمة معنوية، بينما الطائفية تعد قيمة مادية. فالمذهبية على هذا فكرة انسانية تستطيع أن تعيش دون أن ترتبط بطائفة بذاتها لأنها فكر ومنهج للجميع[1].

أما الطائفية فانها تجمع بشري ارتبط بفكر معين وتقوقع عليه وقد يكون هذا الفكر مذهباً وقد يكون شيئاً آخر. اذ لا بد للطائفية من فكر يؤلف قاعدة للانطلاق.

---

(١) انظر في ذلك ما كتبه الشيخ محمد أبو زهرة في مقدمة كتابه (الإمام زيد).

بصرف النظر عن كون هذا الفكر صحيحًا يعبر عن قناعات ومصالح. أو يعبر عن طموحات وأهواء.

وقد يلزمنا كذلك أن نفرق بين المذهبية والبدعة، وهي التفرقة التي حرص بعض فقهاءنا من أمثال ابن حزم والشهرستاني على تبيانها.

فالمذهبية تراث فكري يقوم في الأساس على الكتاب والسنة، أما البدعة فهي ما يقوم على المدخول والمنحول على الكتاب والسنة، فهي مخالفة لهما.

الخطوات النظرية للوحدة :

وضع بعض العلماء المهتمين بهذا الأمر قواعد معينة تكون أساساً للتقريب المقترح نهم الشيخ عيد عباس الذي دعا الى تأليف لجة علمية تنظر في التراث الفقهي على أسس خمسة هي:

١ ـ تقرير الأحكام المتفق عليها بين فقاء الاسلا، أي الذي لم يثر حولها خلاف.

٢ ـ في المسائل المختلف عليها اختلاف تنوع، يؤخذ بجميع الآراء ما دامت ثابتة في الشريعة، ولا معنى للاقتصار على احد منها ومخاصمة غيره.

٣ ـ في المسائل المختلف عليها اختلاف تضاد، ينظر في دليل ل مذهب، ويؤخذ بأقوى الآراء وأرجحها دون تعصب.

٤ ـ في المسائل التي يصعب ترجيح رأي من الآراء فيها، وتتساوى أدلتها في القوة يجوز الأخذ بأي رأي منها، ويحسن تقديم ما يحقق مصلحة عامة للمسلمين.

٥ ـ يترك من الآراء ما ظهر بطلانه.

ويسمى هذا المذهب مذهب الكتاب والسنة.

وقد أيد الشيخ محمد الغزالي هذا الاقتراح وآخرون[1]

وعلى صعيد آخر فان الشيخ محمد الغزالي قدم مشروعاً محدداً للتصالح والتقريب مع الشيعة الامامية وكذلك المجامع الدينية حدده في نقاط أربع هي:

١ ـ يتفق الفريقان في مؤتمر جامع على أن القرآن الكريم هو كتاب الاسلام المصون الخالد. والمصدر الأول للتشريع. وأن الله حفظه من الزيادة والنقص وكل أنواع التحريف، وان ما يتلى الآن و ما كان يتلوه النبي على أصحابه وأنه ليس في تاريخ الاسلام كله غير هذا المصحف الشريف.

٢ ـ السنة هي المصدر الثاني بعد القرآن، والرسول أسوة حسنة لاتباعه الى قيام الساعة، والاختلاف في ثبوت سنة ما، أو عدم ثبوتها مسألة فرعية.

٣ ـ ما وقع من خلاف في القرن الأول يدرس في اطار البحث العلمي، والعبرة التاريخية. ولا يسمح بامتداده الى حاضر المسلمين ومستقبلهم.

٤ ـ يواجه المسلمون جميعاً مستقبلهم على أساس من دعم الأصول المشتركة، وهي كثيرة جداً وعلى مرونة وتسامح في شتى الفروع الفقهية[2].

وبذلك يمكن أن يتحقق لهم ما يصبون اليه من وحدة فكرية تتبعها وحدة على جميع الجبهات.

---

(١) محمد الغزالي ـ دستور الوحدة الثقافية الإسلامية ص ١٢٨.
(٢) المصدر السابق ص ١٤٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

القرارات والتوصيات
لندوة «الاحتلال العراقي لدولة الكويت من منظور الشريعة الإسلامية»

عقدت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالتعاون مع مجلة الشريعة ندوة بعنوان «**الاحتلال العراقي لدولة الكويت من منظور الشريعة الإسلامية**» في الفترة من ١٩ـ ٢١ شعبان ١٤١٣ هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٩٢م، تحت رعاية الأستاذ الدكتور وزير التعليم العالي الذي أناب عنه سعادة الأستاذ الدكتور مدير جامعة الكويت. الذي ألقى كلمة راعي الندوة، وألقى كلمة الكلية الدكتور عبدالعزيز المطوع مساعد عميد الكلية.

وقد قدمت في الندوة ستة بحوث علمية فقهية موسعة، عرضت بشكل مفصل، أعقب كل بحث تعقيب من أستاذ متخصص. وقد قام بكتابه البحوث كل من الدكتور / عجيل جاسم النشمي عميد الكلية، والأستاذ الدكتور / محمد فوزي فيض الله رئيس قسم الفقه وأصول الفقه، والدكتور / لاشين محمد يونس / رئيس قسم الفقه المقارن والسياسة الشرعية، والدكتور/ صديق عبدالعظيم/المدرس بالكلية، والدكتور/ محمد محمود متولي/ المدرس بالكلية، والدكتور/ توفيق الواعي/ المدرس بالكلية، وشارك في التعقيب كل من : الدكتور/ محمد عبد الغفار الشريف، والدكتور/ خالد المذكور، والدكتور/ جابر مهران، والدكتور/ عبد الحليم أحمدي،

والدكتور/ عبد العزيز صقر، والدكتور/ محمد رياض.

وقام بإدارة الندوات كل من: الأستاذ الدكتور / مصلح سيد بيومي، والأستاذ الدكتور / محمود الطحان، والدكتور / محمد رياض.

وقد كان برنامج الندوة كالتالي:

اليوم الأول: ١٩ شعبان ١٤١٢هـ/ ٢٢ فبراير ١٩٩٢م

المحاضرة الأولى: «التكييف الشرعي للاحتلال العراقي لدولة الكويت»

المحاضر: د. عجيل جاسم النشمي.

المحاضرة الثانية: «حكم الاستعانة بغير المسلمين في القتال».

المحاضر: أ.د. محمد فوزي فيض الله.

المعقبون:

المحاضرة الأولى: **د. محمد عبدالغفار الشريف**

المحاضرة الثانية: **د. خالد مذكور المذكور**

أدار الندوة: **د. محمد رياض.**

اليوم الثاني: ٢٠ شعبان ١٤١٢هـ/ ٢٣ فبراير ١٩٩٢م

المحاضرة الأولى: آداب الاسلام وأخلاقياته في حالتي السلم والحرب.

المحاضر: د. لاشين محمد يونس.

المحاضرة الثانية: مفهوم الابتلاء في الإسلام، صوره وآثاره

المحاضر: د. صديق عبدالعظيم

المعقبون:

المحاضرة الأولى: **د. جابر مهران**

المحاضرة الثانية: **د. أحمد الأحمدي**

أدار الندوة: **أ.د. مصلح بيومي**

اليوم الثالث: **٢١** شعبان **١٤١٢هـ/ ٢٤** فبراير **١٩٩٢م**

المحاضرة الأولى: الإعلام الإسلامي بين الواقع والواجب

المحاضر: د. محمد متولي

المحاضرة الثانية: الوحدة الإسلامية بين الواقع والآمال

المحاضر: د. توفيق الواعي

المعقبون:

المحاضرة الأولى: **د. عبدالعزيز صقر**

المحاضرة الثانية: **د. محمد رياض**

أدار الندوة: أ.د. محمود الطحان.

وقد انتهت الندوة إلى القرارات والتوصيات التالية:

قرارات الندوة

أولا: بالنسبة للتكييف الشرعي للنظام العراقي:

ترى الندوة: أنه من خلال نصوص وثائق الحزب المسمى «حزب البعث» ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن النظام يتخذ منهج «العلمانية» منهاجا عقائديا وفكريا وأسلوب حاية، ويعتبر النظام في ذات الوقت عدم صلاحية الإسلام كنظام ومنهج، بل ويعادي الحزب الإسلام ويعتبره خصما وعدوا. وقد ثبت ذلك كله من مختارات بعض النصوص التي عرضت في الندوة. فقد جاء في المنهاج الثقافي للحزب قولهم: «الإسلام من حيث هو دين مساو لغيره من الأديان» وجاء في مقررات المؤتمر الرابع للحزب «الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدول العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين وأنصارهم في بوتقة واحدة وهي تكافح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والإقليمية» وجاء في التوصية الرابعة من مقررات المؤتمر «يعتبر المؤتمر القومي الرابع المرحلة الدينية إحدى المخاطر الأساسية التي تهدد الانطلاقة التقدمية في المرحلة الحاضرة».

أن هذه النصوص في ميزان الشرع الإسلامي لا يمكن أن توصف الا أنها نصوص كفرية لا تقر الأديان، بل تعتبر الإسلام خصما وعدوا، هذا بالإضافة إلى الممارسات اللاإنسانية التي تزاولها ويزاولها النظام البعثي بالنسبة للشعب العراقي ولغيره من الشعوب. وعلى ذلك فالنظام والمنهج الذي يتبناه «حرب البعث العربي الاشتراكي» نظام ومنهج كافر.

ثانيا: الحكم الشرعي لرئيس النظام: صدام حسين

كشفت الوثائق ووقائع الأحوال التي ذكرت في الندوة أن صدام حسين يستهزئ بالإسلام ويرفض قبوله كنظام واعتقاد، بل يعاديه أشد العداوة. ومما ذكر

من نصوص وردت على لسانه وبقلمه قوله: «عقيدتنا ليست حصيلة كل ما يحمله الماضي والدين، وإنما هي نظرة شمولية متطورة للحياة، وحل شمولي لأخلاقياتها وعقدها لدفعها إلى الأمام عن طريق التطور الثوري» ويقول: «عندما نتحدث عن الدين والتراث يجب أن نفهم أن فلسفتنا ليست التراث ولا الدين، أن فلسفتنا ما تعبر عنه منطلقاتنا الفكرية، وسياساتنا المتصلة بها» ويوجه كلامه إلى من بدت عليهم مظاهر التدين من أعضاء الحزب «إذا كانت مفاهيم وممارسات التدين قد اعتبرت من قبل بعض الرفاق بديلا عقائديا أو أخلاقيا عن حزب البعث العربي الاشتراكي وسبيلا لحل المشاكل الجوهرية في الحياة، فلماذا اختاروا حزب البعث العربي الاشتراكي» ويبين رفضه للإسلام فيقول: «أن المدخل الديني في تفسير الحياة وفي تغيرها كان موجودا أثناء وقبل أن نصبح بعثيين، والمنهج الالحادي الشيوعي كان موجوداً أثناء وقبل أن تصبح بعثيين، ومع ذلك فاننا رفضنا المنهجين وتوجهنا صوب منهج البعث وآمنا به..»

والندوة ترى أن هذه الأقوال بالإضافة إلى ممارساته الدموية الثابتة والمتوافرة والموثقة تؤكد أن فلسفته وعقيدته في الحياة مقطوعة الصلة بالإسلام وأنه لا يؤمن بغير منهج وعقيدة حزب البعث العربي الاشتراكي، وهي عقيدة كفرية لا تؤمن بالأديان. وأن كلامه السابق يشير بطريق لا يحتمل التأويل الى الاستهزاء والرفض والعداوة للإسلام. وقد أجمع الفقهاء أن المسلم إذا استهزأ أو رفض أو عادي الإسلام فانه مرتد كافر.

ولذا يرى المشاركون في الندوة: أن حكم صدام حسين هو الردة والكفر لثبوت ما سبق تقريره، ولعدم ثبوت رجوعه عنه، وأن هذا الحكم يصدق أيضا على من شايعه وسار في ركابه من قادة الحزب وأفراده، لأن الردة كما تكون فردية تكون جماعية، ولذا قرر الفقهاء وجوب قتال من اجتمعوا على الردة والكفر، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع من ارتد بعد وفاة النبي صلىٰ الله عليه وسلم.

ثالثا: التكييف الشرعي للجيش العراقي:

انتهى المشاركون في الندوة إلى إقرار أن الجيش العراقي ضباطا وجنودا يعتبرون في حكم الإسلام من المحاربين. فهم في الأصل مسلمون. دخلوا أرضا ـ رضا أو كرها ـ ليست أرضهم، وليست لهم حجة أو تأويل مقبول أو معقول يبرر ذلك. واستباح الجيش الدماء والأعراض والأموال، وتحقق ذلك من توجيه قيادتهم، أو من ذات أنفسهم فالكل يأثم من الاشتراك في هذا الجيش من باشر شيئا من الحرام ومن لم يباشر، إلا أن المباشر إثمه أعظم بحسب جرمه ويستحق القتل من قتل منهم. ومن قتل وأخذ المال فانه يقتل ويصلب، ومن أخذ المال قطعت يده ورجله اليسرى، ومن لم يفعل شيئا من ذلك فحكمه الحبس إذا قبض عليه والحاكم مخير فيه يفعل به ما فيه المصلحة. كل ذلك أخذ من قوله تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الحياة الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾ «سورة المائدة آية ٢٣»

وكذلك يأخذ حكم المحاربين ويستحق ذات العقوبة كل من ساند المعتدي فردا أو جماعة أو دولة، وسواء كان العون بتكثير سواد العدو أو بالوجاهة أو الامداد المادي أو المعنوي، ولو لم يشارك فعلا في القتل والقتال، وقد قرر الفقهاء ذلك في حكم الردء أو المساند للمحاربين وهم المفسدون في الأرض قطاع الطرق والنهَّابة.

رابعا: الاستعانة بغير المسلمين في القتال

استنادا إلى عموم النصوص وأقوال الفقهاء الواردة في هذا الشأن فانها تشير إلى أن الاستعانة بسلاح الكفار جائز بشرط أن لا يترتب عليه خضوع المسلمين لسلطان الكفار. كما أنها تشير إلى جواز استعانة المسلمين بغير المسلمين على

أعدائهم من غير المسلمين إذا وجدت ضرورة أو حاجة منزلةً منزلة الضرورة، بحيث لا يتحقق للمسلمين غرضهم إلا بالاستعانة بهم. ولا يوجد مسلمون قادرون وحدهم على دحر هذا العدو وبشرط ألا يترتب على الاستعانة بهم ضرر أكبر أو مساو، كأن يشترطوا على المسلمين أخذ جزء من أرضهم، أو البقاء على أرض المسلمين بعد زوال خطر العدو، وأن يكون المستعان بهم حسنى الظن بالمسلمين.

أما استعانة المسلمين بالكفار على مسلمين فالأصل الثابت هو عدم الجواز ماداموا مسلمين فلا يخرج عن هذا الأصل إلا بدلائل بينات على خروج العدو عن حدود الإسلام ونظمه، كأن يخرجوا من حيز التهديد بالقتل أو غيره إلى القتل فعلا، أو اجتياح بلد إسلامي واستباحة دماء أهله وأعراضهم وأموالهم دون تأويل مساغ وحجة بينة. فهذا العدو حينئذ عدو محارب أو مرتد كافر يجوز الاستعانة عليه بغير المسلمين آخذا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين لإزالة أعظمهما.

خامسا: الوحدة الإسلامية:

الوحدة الإسلامية مطلب وواجب شرعي لا يجوز التقاعس عن السعي إلى تحقيقه بكل الوسائل الممكنة، وعلى جميع المستويات، وفي جميع الجهات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

سادسا: الإعلام الإسلامي:

يجب شرعا أن يكون للمسلمين إعلام رائد يواجه الإعلام المضاد. ويدافع عن الإسلام ومنهجه ونظامه وعن المسلمين حيثما كانوا ليحقق لهم العزة والكرامة ويعيد إلى المسلمين مكانتهم ودورهم في هداية البشرية.

سابعا: العلاقات الدولية:

يجب شرعا إظهار سماحة الإسلام وهدية وسمو مبادئه، خاصة في العلاقات الدولية في حالتي السلام والحرب.

ثامنا: مفهوم البلاء:

ضرورة الاهتمام بتوضيح المفاهيم الشرعية كمفهوم البلاء والمصائب التي يصاب بها المسلمون أو غيرهم، وواجب المسلمين إذا وقع البلاء بأنفسهم أو دمائهم أو أرضهم.

توصيات الندوة:

من خلال البحوث والتعقيبات التي جرى عرضها في الندوة انتهى المشاركون إلى تقرير رفع التوصيات التالية:

(١) اعتبار القرارات التي توصلت إليها الندوة وثيقة تبين حكم الشرع الإسلامي في الاحتلال العراقي لدولة الكويت، ترسل إلى الجهات العلمية الشرعية في أنحاء العالم الإسلامي.

(٢) السعي الجاد من الحكومات العربية والإسلامية إلى العودة لتطبيق الشريعة الإسلامية التي تكفل بلا ريب عدم تكرار ما حدث من حاكم العراق ونظامه.

(٣) تدريس العقيدة الإسلامية على جميع المستويات الدراسية. وإبراز المفاهيم الاعتقادية من مثل مفهوم البلاء والمصائب التي تنزل بالمسلمين وما ينبغي اعتقاده في هذا الشأن.

(٤) العمل المستمر لتكوين قوة عربية وقوة إسلامية تكفل الدفاع عن أرض

المسلمين، وتأخذ على يد من تسول له نفسه العدوان والظلم والخروج عن حدود الشرع الحنيف.

(٥) تعزيز مبدأ الشورى على جميع المستويات، وتوسيع المشاركة الشعبية وكفالة الحريات العامة، وحرية التعبير.

(٦) تعزيز ودعم الأعمال الخيرية التي تقوم بها الجهات الشعبية والرسمية في الكويت، التي عم خيرها العالم العربي والإسلامي، لتخفيف ورفع معاناة المسلمين في كثير من بلدان العالم.

(٧) الاهتمام البالغ بالإعلام الإسلامي خاصة، لتوحيد أفكار وتوجهات المسلمين، وجمع كلمتهم حول القضايا المصيرية التي من شأنها رفع الخلاف بينهم وتقوية مركزهم الدولي في الهيئات والمحافل العالمية الدولية.

(٨) تدريس مادة السياسة الشرعية في كليات وجامعات الدول العربية والإسلامية، لبيان نظم وعلاقة الإسلام بالدول غير الإسلامية في حالتي السلم والحرب، ولتتبين آداب الإسلام وعظمته وسماحت، وسمو علاقاته مع الدول الأخرى، وحدود العلاقة بين الحاكم أو النظام وبين المحكومين وحدود الإسلام واخلاقياته في حالتي السلم والحرب وأهمها الآتي:

١ ـ الإسلام دين السلام والأمن والأمان لا دين الاستسلام والخضوع للباطل.

٢ ـ حسن الجوار بين الدويلات الإسلامية حق مقدس ومصون، لا يجوز المساس به، أو الاعتداء عليه. ونزاعات الدول يحلها مبدأ الشورى والتفاوض.

٣ ـ الاستبداد بالرأي، وترك المشورة بين المسلمين آفة خطيرة تعاني منها

الأمة الإسلامية والعربية، ويجب على حكام المسلمين الالتزام بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

٤ ـ احترام حقوق الانسان وعدم انتهاكها والاعتداء عليها في حالة السلم والحرب.

٥ ـ ضرورة الاعلان قبل الحرب، فالمباغتة والغدر والخيانة مُجَرم في الإسلام.

٦ ـ لا يجوز قتل النساء والأطفال والشيوخ والمرضى والجرحى وذلك بمقتضى نصوص الكتاب والسنة.

٧ ـ عدم التمثيل بالقتلى والجرحى، وعدم تعذيب الأسرى أو احتجاز الأبرياء ممن ليس لهم مشاركة في القتال.

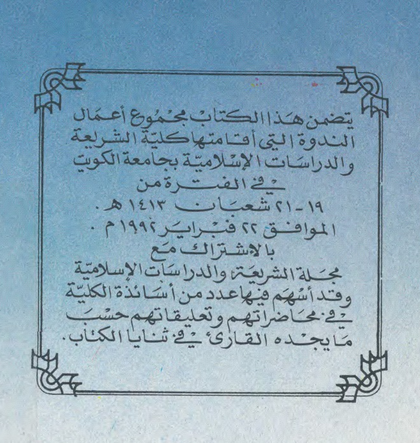
٨ ـ لا يجيز الإسلام الإضرار بالبيئة برا وبحر وجوا، وتدمير وقتل الحيوانات ونهب وسلب وحرق الآبار.

٩ ـ من تعاليم الإسلام ضرورة انقاذ المستضعفين في اورض، وفك قيد هؤلاء من رق الفقر والعبودية.

١٠ ـ واجب الدول الإسلامية حكومات وشعوبا إنقاذ الاسرى والمحتجزين والرهائن الكويتيين وغيرهم من براثن العدو الظالم بكل السبل الممكنة.

اعلنت قرارات وتوصيات الندوة يوم ٢١ شعبان ١٤١٢ ـ ٢٤ فبراير ١٩٩٢.

الفهرس



يتضمن هذا الكتاب مجموع أعمال
الندوة التي أقامتها كلية الشريعة
والدراسات الإسلاميّة بجامعة الكويت
في الفترة من
١٩ - ٢١ شعبان ١٤١٣ هـ .
الموافق ٢٢ فبراير ١٩٩٢ م .
بالاشتراك مع
مجلة الشريعة والدراسات الإسلاميّة
وقد أسهم فيها عدد من أساتذة الكليّة
في محاضراتهم وتعليقاتهم حسب
ما يجده القارئ في ثنايا الكتاب.

طباعة مطابع الخط - الكويت
تلفون : ٤٨٤٤٥٤٥ - ٤٨٤٤٩٤٩ - ٤٨١٧٠٤٨